# الحاره العربيه

أحمد الأزهري

الحاره العربيه
أحمد الأزهري
تدقيق لغوي :- عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف :- عبير محمد
رقم الايداع 978-977-6594-42-3
الترقيم الدولي 2018/419112

دار فصله للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB.com/Faslapub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي نوفمبر 2018

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصله للنشر والتوزيع
إن أي تصوير أو إعادة طابعه أو نشر بشكل ورقي أو إليكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتياً بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

# الحاره العربيه

## أحمد الأزهري

# إهداء

إلى أمي وأبي وإخوتي , حفظهم الله جميعاً في الدنيا , وجعلنا جميعاًعلى سررمتقابلين قي جنته .

## مقدمة الكاتب

- عن أي شيء يبحث خيالك؟
-عن مقدمةٍ لتلك القصص.
-القصص، أيّ قصص!
-التي كتبتها
-. عن أي شيء كتبت؟
-عن الوطن والإنسان والمجتمع والقضايا والفلسفة وال..
-لا تثرثر، دعنا نفكر معًا بهدوء تام .أصغ إليّ؛ يجب أن تحتوي المقدمة على كلمات تثير القارئ في بداية قراءته لهذا الكتاب
-كيف؟
- يجب أن تتفلسف في مقدمتك
-كيف!
-هكذا.
- اكتب وراء لساني، الإنسان بين الوطن والهجرة يرى الحرية والعبودية ويعيش مع الدين والدنيا، ويموت بين الفلسفة والنفس ومن خلفه الروح والضمير وأحيانًا لا يهتم بالفؤادِ والعقل، إن الإنسان يعيش دائمًا .
-ما هذه الكلمات الساذجة، إنها بلا معنى، أين الفلسفة في ذلك؟
- الفلسفة في الأدب

-ولكني لست أديبًا.
-كيف ؟ وما الأديب إلا أن يرى الأشياء ويوصفها بِوحي الكلمات، وأنت تسعى لفعل ذلك
- . لا تستطرد، لا أسعى إلا لكتابة المقدمة حتى أنتهي وأقدمها للنشر.
-. حسنًا ، أستمع ولا تكتب ورائي، أعظم الأشياء تكتسبها وتفقدها بلا جدوى، مثل الذي يعيش حياته بلا فائدة ثم يموت فلا تذكره الحياة إلا بانعدام الفائدة.
-رائعة جدًا تلك الكلمات، ستثير عقل القارئ، أكمل
- أخبرني أولاً، ما عنوان ذلك الكتاب؟
-عنوانه الحارة العربية
-عنوان جميل، عن ماذا تحكي قصته؟
-سأسردها لك ولكن أكمل المقدمة حتى أنتهي
-أُكتب ورائي، ولكن أخبرني؟

| م | اسم القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | الحارة العربية | ١ إلى ٦ |
| ٢ | إيفانكا والأفغاني | ٧ إلى ١٣ |
| ٣ | حديث اللاجئين | ١٤ إلى ١٨ |
| ٤ | الحب في زمن الثورة | ١٩ إلى ٢٢ |
| ٥ | عم لبيب | ٢٣ إلى ٢٨ |
| ٦ | العلمانية والملوخية | ٢٩ إلى ٣٤ |
| ٧ | ٢٠٥٠ | ٣٥ إلى ٤٩ |
| ٨ | الغرام الروسي الأمريكي | ٥٠ إلى ٥٤ |
| ٩ | زنزانة الوحدة العربية | ٥٥ إلى ٥٨ |
| ١٠ | البورمي بألف دولار | ٥٩ إلى ٦٥ |
| ١١ | المدمن | ٦٦ إلى ٦٩ |
| ١٢ | سورية في بلاد الأتراك | ٧٠ إلى ٧٤ |
| ١٣ | فخاذ السينما المصرية | ٧٥ إلى ٨٠ |
| ١٤ | التائه والفتاة و البرجوازي | ٨١ إلى ٨٦ |
| ١٥ | جنة الخالدين | ٨٧ إلى ٩٢ |
| ١٦ | جندي مجند عبد الستار | ٩٣ إلى ٩٩ |
| ١٧ | مهاجر إلي برلين | ١٠٠ إلى ١٠٣ |
| ١٨ | نضال فلسطينية | ١٠٤ إلى ١٠٧ |
| ١٩ | الراهبة والشافعي | ١٠٨ إلى ١١٢ |
| ٢٠ | النرجسي | ١١٣ إلى ١١٨ |

** الحارة العربية**

-يا رجل، ماذا يمكننا أن نفعل؟
-حقيقية لا أعلم أيها الجار اللبناني، قد أرهقني الصمت والله إن الأمر لَيحزنني كثيرًا وما كنت أريد أن يصل الأمر بي وبالعرب إلى هذا الهوان. وكما قال صديقنا المصري " ما باليد حيلة"، ولكن أخبرني كيف حال السكان في بيتك اللبناني؟
-في غاية السوء، الوضع مشتعل ونفوسهم يزداد صوتها زئيرًا وكما تعرف بيتنا يقرب من البيت الفلسطيني أو الإسرائيلي، والله يصعُب علىّ تسميته تلك الفترة بذاك الاسم المشؤوم، خرج اليوم السكان ووقفوا امام البيت ثم ثاروا وهتفوا ضد القرار الأجنبي الذي أعلنه الرجل الأبيض صاحب البيت الأبيض بشأن نقل فرع محل الذهب إلى البيت المتنازع عليه.
-حقًا وماذا فعلت؟
-طالبت الجميع بالهدوء وترك الأمر لي ولأصحاب البيوت العربية المجاورة، ولكنهم يتهمونَ بعضنا بالخذلان والبعض الآخر بالتواطؤ، فطلبت منهم الاستكانة وتحلي قلوبهم بالصبر حتى يروا من البيوت العربية ردة فعل، أما أنت أخبرني ما حال سكان البيت الأردني معك؟
-إن طوابق البيت عندي قد تنهار مما سيحدث في الغد، قد أعلنوا نيتهم للاعتصام أمام البيت تحديدًا عند المحلات المأجورة لدى

العميل الأجنبي التابع لبيت الرجل الأبيض.
وأخشى أن يحدث مشاجرة بين السكان الأردنيين وبين العاملين هناك.
ثم تنهد بُرهة وأكمل:
لا بُدَّ من قمةٍ طارئةٍ لبيوت العرب كافة.
- فقاطعهُ مستنكرًا: ومنذ متى والجلسات تأتي بمنفعةٍ واقعية، غير أنك تعلم أن صاحب البيت العربي القطري لديه خلافات تجارية وسياسية مع صاحب البيت المصري والسعودي والاماراتي والبحريني وقد قطعوا سُبل الوصال بينهم فكيف لنا أن نجلس ونحن على فُراق.
- والله لا أعلم إن الأمر قد شقّ على سكان البيت الفلسطيني وإن ألفُرقة السائدة بيننا آن أوان وحدتها، ولكن
أجبني هل تواصلت مع البيت السوري؟
- اتصلت برئاسة البيت ولم يجب أحد على الهاتف، يبدو أن البيت السوري خارج المعادلة،
- والمصري ما شأنه؟
- لا أعرف عنه شيء.
- لا عليك به سوف أحدثه اليوم لتحديد اجتماع عاجل للبيوت العربية غدًا.
يجب علينا العمل اليوم والتواصل مع كافة البيوت العربية للاجتماع ودراسة الأزمة.
سأتحدث إليهم جميعًا، والله الموفق وأغلق الجارَان الأردني واللبناني

الهاتف وبدا على تجاعيد وجنتَا كل واحدٍ منهما الهمِّ واليأسِ.

- السلام عليكم؟

- وعليكم السلام، كيف حالك يا صاحب السمو الأردني؟

- بخير ما دام البيت المصري بخير.

ما رأي سيادتكم في قرار اليوم بشأن البيت الفلسطيني؟

- قد اطلعت عليه منذ ساعة وكنت أنتظر الحديث مع كافة البيوت العربية وأخشى ردة فعل سكان الحارة العربية، فكلانا يعرف مدى حب السكان الفلسطينيين في أفئدة سكان العرب وأن ما يمسهم من سوء يثير غضبة باقي سكان البيوت ،وأنت تعرف أن المصريين غضبهم ولاسيما تجاه البيت الإسرائيلي وأصحابه وسكانه تكون مشتعلة على إثر الخلاف القديم منذ عدة عقود.

- أعرف ذلك جيدًا ولذلك أسرعت بالتشاور معك في الأمر فالبيت المصري من أكبر وأهم بيوت الحارة وبيت له تاريخ ومكانة في نفوس العرب كافة. لذلك أنوي الاجتماع غدًا عندي في الساعة السادسة و سأبلغ جميع العرب بذلك الموعد حتى نجتمع على قرار يناسب القرار المشؤوم.

- ولكن يا صاحب السمو الأردني علينا جميعًا التريث والهدوء ولا تأخذنا العاطفة إلى الهاوية، فالبيت الإسرائيلي الآن يختلف عن العهد السابق ويجب مراعاة قوته الاقتصادية ولا ننسى أن كثيرًا مِنا يتعاون معه تجاريًا ولا نتغافل عن علاقته الخارجية ببيوت أجنبية تتعامل معنا بكل ودٍ وبيننا وبينهم صداقة وتجارة مشتركة.

- أعرف ذلك جيدًا، وسيكون محل نقاش بين الإخوة العرب

غدًا باذن الله.

- باذن الله. إلى اللقاء.

وبدا على وجه الرجل الأردني الاهتمام وأمسك بيمناه هاتفه مرةً أخرى وبدأ الحديث.

- السلام عليكم يا صاحب السمو السعودي. كيف حال سيادتكم؟

- نحن بخير دائمًا ما دام صاحب السمو والبيت الأردني بخير.

- ولكن لسنا على ما يرام فالبيتِ الفلسطيني ثائر وينتظر منا الغوث والمساندة بعد قرار الرجل .....

فقاطعه يجيب: نعم أعرف القرار وقد اطلعت عليه ولكن عليك التحلي بالصبر ومصارحة سكان البيت الأردني أن لا حيلة لنا تجاه الأمر.

- كيف ذلك! ولكن أود إخبارك أن أصحاب البيوت العربية سوف تجتمع غدًا في السادسة مساءً في بيتي، وأود إخبارك أن الأردنيين أعلنوا الاعتصام والإضراب غدًا احتجاجًا على القرار.

- نعم ولكن علينا جميعًا أن .....

- فقاطعه يتلهف الإعتذار ويتساءل: أما عن السعوديين، ما حالهم الآن؟

- عزيزى يجب عليك أن تعرف أن معظم سكان بيتي لا يهتمون بالشؤون الخارجية للمنطقة ولا يعنيهم إلا بيتهم فقط غير أنهم يثقون بي لدرجة عالية لا يفيض منها الشك.

- أعرف ذلك، ودائما البيت والسكان السعوديين في أمان

وخير.

- ولكن اسمحلي هل حدثت البيت القطري ليأتي غدًا.
- سيدي، سوف أتصل به بعد إنهاء المكالمة معك بلا شك.
- ليس له وزن ولا أهمية على الطاولة العربية.
- فقاطعه، يا سيدي يجب علينا تنحية الخلافات جانبًا والوقوف بارتصاصٍ أمام القرار الذي يضر مصالح البيت الفلسطيني.
- أجل أجل والله الموفق والمستعان.
- الله المستعان، أراك غدًا صاحب السمو الملكي.

وفي هاتفٍ آخر حدث زميله صاحب الفخامة القطري.

- السلام عليكم. كيف حال سيادتكم؟
- بخير. نحمِدُ الله على كل حال. وأنتم يا صاحب السمو الأردني كيف حال بيتكم؟
- الحمد لله. نحن جميعًا بخير، ولكن البيت حزين لما حدث اليوم.
- نعم. أعرف ذلك دائمًا ومنذ زمن قريب والبيت الأردني يخاف على كافة البيوت العربية ودماء الأردنيين يمتزج بها العروبة والدفاع عن الإخوة في كل مكان وزمان. عسى أن تكون الأمور هادئة ووفقنا الله لما هو خير.
- من أجل ذلك أُحدثُكَ اليوم، قررت الاجتماع غدًا في بيتي من أجل التوصل إلى قرار يردع القرار الأجنبي على لسان البيوت العربية كافة.
- حسنًا بلا شك سوف آتي غدًا إليك.

في السادسة مساءً سوف يجتمع العرب.

- على الرحب والسعة، سأكون في الموعد.

وهاتف آخر لبناني إماراتي.

- السلام عليك يا سمونا الغالي.

- وعليكم السلام يا صاحب الفضل اللبناني. كيف حال البيت اللبناني؟ لعلَهُ يكونُ بخير.

- نحن على ما يرام ما دام أشقائنا الأعزاء سُكان البيت الإماراتي بخير. أدعوك نيابةً عن صديقنا صاحب السمو الأردني لِجلسة طارئة غدًا لمناقشة قرار البيت الأبيض اليوم بشأن نقل محل الذهب الأجنبي إلى البيت الفلسطيني والتوسع الاستثماري الأجنبي عند إخواننا الفلسطينيين. لربما نأخذ قرارًا للرد على القرار المشؤوم.

- متى الموعد بالتحديد؟

- في السادسة مساء الغد.

- سآتي قبل الموعد بإذن الله.

وهاتف آخر بين اللباني والتونسي.

- السلام على صديقي التونسي.

- أهلًا بك. وعليك السلام يا عزيزي اللبناني. كم أتمنى زيارة البيت اللبناني فهو على مقربة من قلبي فهو عروس بيوت العرب والمنطقة كافة.

- والله أتمنى أن تشرفُني بزيارتك

- قريبًا ولكن علينا غدًا الاجتماع في البيت الأردني، اجتماع طارئ لكافة بيوت المنطقة العربية. لمناقشة ما حلّ ببيتنا

الفلسطيني من قرارات ظالمة تعتدي على حقه ومُلكه.

- والله كنت أنوي التواصل مع كافة الأصدقاء لنقاش الأمر، ولكن سبقني الأعزاء فلا بأس.

- غدًا في السادسة مساءً

- باذن الله، لربما ننتفع باجتماعنا ونساعد إخواننا الفلسطينيين.

واستمرت الاتصالات تتبادل من الرجل اللبناني والأردني لبقية أصحاب بيوت المنطقة. العُماني والبحريني والجزائري والعراقي والسوداني والموريتاني والمغربي والكويتي واليمني والصومالي والليبي والجيبوتي بينما انقطع الاتصال في البيت العربي الأخير الذي يُعرف " القمر الإتحادي" أما البيت السوري فلا أحد يستجيب هناك.

في السادسة مساءً كان الموعد في قاعة كبيرة في الطابق الثاني، طاولة طولها يضاعف عرضها ثلاث مرات، يلتف حولها اثنين وعشرين مقعدًا وهما عدد البيوت العربية في الحارة، أمام كل مقعد ورقة وقلم وزجاجة مياه وكوب من العصير، صوت الحديث الجانبي يعلو رويدًا رويدًا، دخل الرجل الأردني وسلم على الجمع وصافح بيده الرجال لم يترك أحدًا ولوح بيده وقال والجمع ينصتُ باهتمام:

- الآن الساعة السادسة فليجلس أصحاب الفخامة حتى نبدأ جلستنا.

فتوجه الأصدقاء نحو الطاولة للجلوس، وكان المشهد يوصف خمسة مقاعد يتوسطهم المصري وعلى يمينه الإماراتي والسعودي ويساره الليبي والبحريني بجانبهم من الضلع الآخر يمكث أصدقاء اللون الأسود السوداني والصومالي والموريتاني والجيبوتي وبرفقتهم الرجل العراقي، وأمامهم ثلاث مقاعد لأصدقاء غرب الحارة التونسي والجزائري والمغربي ورابعهم الرجل اليمني وبجانبهم من الضلع الموازي لضلع المصري الرجل الكويتي والقطري والعُماني واللبناني ويتوسطهم الرجل الأردني صاحب البيت.
وبقى مقعدين فارغين أحدُهما للبيت السوري والآخر لبيت القمر الإتحادي.
بعد أن جلس الجمع. بدأ صاحب البيت بالحديث يفتتح الجلسة قائلًا:

- أهلًا بكم أيها الإخوة العرب الكرام في بيتكم البيت الأردني، اجتمعنا اليوم لنناقش القرار المشؤوم لصاحب البيت الأبيض بشأن نقل مقرِ محل الذهب الأجنبي التابع للبيت الأبيض إلى بيت إخواننا الفلسطينيين، ولكي نستمع إلى..... ،
فقاطعه صوت أيدي تطرق الباب بتأدب وتستأذن الدخول، كان شخصًا طويل القامة صامت الوجه بلا تعبيرات حادقُ العينينِ فاقترب ثم انحنى على كتف الرجل وحدثه بلا صوت وسلّم له ورقة يقرأها.
وخرج مرة أخرى.

فعاود الرجل الأردني الحديث وتكلم بصوت أقوى من سابقه:

- أخبرني نائبي في تلك الورقة أن سكان المنطقة كافة ينتظرون نتيجة جلستنا هذه وأن إعلام الحارة العربية والحارات المجاورة الأجنبية تتابع عن كسب ما سنخرج به اليوم من قرارات، فما رأيكم؟

أشار البناني رافعًا يده اليمنى وقال:

- بسم الله. نبدأ النقاش مع إخواننا الكرام حتى نتفق على قرارٍ واحد، وأكمل: أقترحُ أن نقاطع البيت الإسرائيلي تجاريًا فلا نبيع له ولا نشتري منه. وأحب أن أنوه حضراتكم أن الحارات المجاورة تقول أن المنطقة العربية ضعيفة جدًا وان بيوتها وحراسِها لربما بمثابة الفريسة أمام الجمع.

فأشار الرجل الإماراتي وقال:

- أحب أن أقف عند ما قلته يا أخي، الضعف والهوان للمنطقة العربية وأنوه أن السبب هو انتشار العصابات ومثيري الشغب والإرهاب في الشوارع مما أدى إلى خطف السُكان من كل مكان وانتشار السرقة والقتل مما أدى إلى ضعف حُراس بيوتنا جميعًا وأن مِنّا هنا وأمام الأصدقاء وهم يعرفون أن البيت القطري وراء مثيري الشغب ووجدت وثائق وشهادات تثبت تمويل العصابات من بيت المال القطري. فكيف لنا أن نقوى وفينا أخ يجيدُ الطعن في ظهورنا جميعًا.

وبدأت الجلسة تنال الاهتمام على الوجوه بعد حديث البيت

الإماراتي واستاء وجه الزميل القطري ونوه بمنكبيه استعدادًا للنقاش ووجه عيناه نحو المتحدث عليه وقال:

- غريب أمرك أيها الصديق، تركت الأمر الذي جئنا من أجله واتهمت البيت القطري بالتخريب والإرهاب وأنه سبب ضعف وهوان المنطقة، وأنا لا أسمح بهذا أبدًا ولوح بإبهامه يستجلب التحدي وتابع: وإن كان لديك وثائق فَلتظهرها للإخوة العرب الآن ولكنك لن تستطيع لأنك لا تملك شيء.

فرد الأخوان البحريني والسعودي واحدًا تلو الآخر بصوت يغلب عليه الضيق وقالاَ:

- أيها القطري أنت كاذب. وتمول الشغب.
- أنت سبب ضعف المنطقة ويجب أن تكف عمّا تفعل. وإلا استمرت مقاطعتنا لك.

واحتد الخلاف وتعالت الأصوات وأوضحت تجاعيد الوجوه مدى استياء المتبادلين الاتهام.

فأخذ الرجل الكويتي ينادي لهم وهو يلوح بيده حتى كادت أن تسقط عمته من التفاف رأسه بسرعة بالغة لليمين واليسار، وأخذ يدُق بيده على الطاولة حتى أتت له فرصة الحديث فقال:

- والله لو جئنا إلى هنا لنختلف ما كنتُ جئت، وصاح بقوة: يا عرب يا أيها الخليجيون يا أصحاب الأموال والاستثمار. ما بكم؟ اجتمعنا لنرى سبيل الوصول لقرار ينتفع به العرب ولاسيما اخواننا في البيت الفلسطيني وليس للتراشق والاتهام.

وعمَّ الصمت على المكان بضعة ثوان حتى انقطع بصوت صاحب البيت فقال:

- هل من أحد يطرح حلًا على الطاولة؟

فقام صاحب البيت المصري يُشير للتحدث بيساره فأُذِن له بالتحدث فقال:

- أيها الإخوة الأشقاء. لا داعي للخلاف الآن. يجب أن ندرك الواقع ونلتمسهُ التماسًا حقيقيًا حتى نتخذ قرارًا صائبًا فيعُم الهدوء والسكينة المنطقة وكافة البيوت العربية بلا استثناء ولاسيما البيت الفلسطيني وسكانه. الواقع يقول أن الإسرائيليين يمتلكون أكثر من نصف البيت المتنازع عليه ويسيطرون على الطوابق المهمة ذات التراث التاريخي عند الفلسطينيين والواقع يقول أيضًا أن قرار البارحة بنقل محل الذهب لهو قرار سيئ للغاية ينال من كرامة الساكن الفلسطيني ويقلل من قيمته ويعزز من وجود الساكن الآخر، لكن قبل أن نرى سبيلاً اليوم يجب أن نلتفت إلى الساكن الإسرائيلي ونعرف من هو؟ وأكمل يجاوب على نفسه:

من الناحية العسكرية، فهو يمتلك حراسة قوية جدًا تفوق حراستنا ويمتلك حُراسه أحدث أنواع الأسلحة التي ترسل له من قبل البيوت الأجنبية الصديقة له. ومن الناحية الاقتصادية نعرف أنه يسيطر على فروع الذهب في أغلبية البيوت والمناطق سواء كانت العربية أو الأجنبية ليس فقط بل جميع بيوتنا تتعاون معه اقتصاديا وتتبادل معه المنتجات سواء الصادرة أو الواردة فهل منّا أحد يستطيع الاستغناء عن ذلك؟ وليس فقط أيها الإخوة توجد العديد

من البيوت الكبيرة التي تجاورنا في المناطق الأخرى تقف بجانبه ولو حدث منّا أمرًا يضرُه سنفقد علاقتنا بتلك البيوت. لذا أنا أطرح قرار التريث وعدم اتخاذ قرارات مقاطعة بل نصدُر بيانًا باسم الإخوة العرب يشجُب ويدين ما يحدث. ولكم الأمر.

وانتهى الرجل بتلك الكلمات وأخذ يبلل شفتيه بكوب المياه الموضوعة أمامه بينما استمع الجميع بإنصات لتلك الكلمات.

ودارت عيون الرجل اللبناني تتفحص الجمع ثم ردّ قائلًا:

- كلام جميل وواقعي من البيت المصري. هل من أحدٍ يُملي علينا اقتراحًا ثم توجه بمقعده تجاه الإخوة أصحاب البشرة السمراء وأكمل ما رأي سعادتكم؟

فرد الرجل السوداني وكأنه نابَ عن الجمع بالحديث فقال:

- إن الأمر كله لله يفعل ما يشاء. ونظر إلى الرجل المصري وقال: هذا الرجل عنده حق يجب علينا أن ندرك الواقع لكي نتخذ القرار السليم.

- وهل لديك ما تقترحه لنا؟

لا ليس لدي شيئًا أطرحه فقلت لك إن الأمر كله لله يفعل ما يشاء وهو قادر على كل شيء.

فقاطعه صاحب البيت الأردني:

- وما رأي أصحاب البيوت الغربية من المنطقة، هل نتريث ونكتفي بالبيان أم نقاطع البيت الإسرائيلي؟

فرد التونسي:

- لا أعلم التوابع لتلك القرارين ولذلك لا أستطيع التحديد.

وأكمل الجزائري:

- لو تريثنا نخاف من غضب سُكان البيوت العربية.

وقال المغربي:

- ولو قاطعنا سوف نخسر الكثير من الأموال والعلاقات مع البيوت الأخرى.

ثم تريث الجمع يتفكر وينظر كلاهم للآخر وقد بدا عليهم أرق التفكير. وفجأة إذ صوت رفيع ينبعث من صاحب البيت اليمني يصيحُ قائلًا:

- الجميع يعرف الدمار الذي حدث ببيتي بعد الفتنة التي أصابت السكان والبيت اليمني الآن يتعرض لمجاعة كبيرة يجب على الجميع المساعدة، أنا أعرف بيوتًا عربية غنية للغاية ولا يسكُن بيتها إلى قلائل من السُكان ومع ذاك تأبى المساعدات لنا. أما بالنسبة للبيت الفلسطيني فيجيب علينا المساعدة جميعًا.

فرد الرجل المستضيف وقال:

- يا اخوة العرب يحب علينا مساعدة كلًا منا الآخر، فليس لنا أحد يخاف علينا بل يوجد من يريد التهامِنا. يا أصحاب البيوت العربية الآن سوف نصوت على أمرين.

الأول: أن نتريث ونكتفي ببيان الإدانة لما حدث من الرجل الأبيض صاحب البيت الأبيض.

الثاني: أن نقطع جزءًا من العلاقات العربية الإسرائيلية سواء على المستوى الإقتصادي أو العسكري.

وقال:

أمامكم خمسة دقائق للتفكير والتشاور وبعدها سنصوت على قرارٍ من القرارين.
فأخذ صوت التمتمة يتطاير في أجواء المكان والحديث يتداخل والأراء تختلف وتتفق والعقول تسرح وغشى الصمت على المكان وتجلت تأملات الأعين على الناظرين الحاضرين.
ورجع الأردني يتكلم ليبدأ التصويت:

- من يريد التريث وبيان الإدانة يرفع يده.

ثم أسهمت الأعين إلى باب القاعة وهو يُفتحُ بِعجلةٍ، إذ دخل ذات الرجل وتوجه صامتًا إلى رئيسه وأعطى له ورقة ليُدلي بها آخر الأحداث وحدثه بغمغةٍ في أذنه وترك القاعة مرةً أخرى.
وبعدها التفت الرئيس للحضور وقال:

- سنأجل التصويت بعد قراءة الأحداث العاجلة. وأخذ يقرأ:

أولًا: المظاهرات والاحتجاجات اجتاحت المنطقة العربية بأكملها ولاسيما في البيت اللبناني والمصري.
ثانيًا: سقوط أول قتيل من السكان الفلسطينيين إثر إطلاق حارس إسرائيلي عليه النار في احتجاج أمام البيت والاشتباكات تقع الآن بين الحرس الإسرائيلي والسكان الفلسطينيين. وأتبع يتساءل بعد أن تنهد مليًا: ما رأي السادة الحضور؟

- التريث أم المقاطعة؟
- فساد الصمت
- الإدانة أم المقاطعة؟
- فانخفضت رؤوس الجمع

- هل تسمعونني؟ الهدوء أم المقاطعة؟
- فلا أحد يتكلم.
- أيها العرب أفيقوا!
- .....
- يا إخوة الدماء تتساقط الآن
- يا إخوة. يا عرب.
- يا إخوة يا إخوة يا إخوة

**إيفانكا والأفغاني**

"سماء لندن"، أنظر إليها كل صباح ، يبدوا أنني أعيشُ أفضل أيام قوتي ، فأنا قويُّ البُنيةِ والخِلقة، أتَميز بدرجةِ استيعاب عالية، استقطابٌ لا بأس به، أملك ملكة التخطيط، التنبؤ بالأحداث، وبفضل كل هذا بات الشعور ينتابني بأنني الأفضل في دراستي" ، كان الفتى يُرددُ بعض الكلمات في سريرته كل صباح عندما يقف أمام جامعة كامبريدج البريطانية، فهو طالبٌ في كلية العلوم السياسية بها، تزداد ثقته يومًا بعد يوم، يؤمن بقدراته، شابًا وسيمًا، شعره أسودٌ قويّ، يبعد عن التجعد، يميل على يسار رأسه، عيناه

واسعة، مِعطفه لا يُفارق كتفه الأيسر بينما الأيمن يتولى مهام حقيبته.

دخل الفتى كعادته رافعًا رأسهُ طرَف عينه، لا يترك أحدًا إلا وألقى النظر عليه مبتسمًا، فهو لا يعرف الكثير، فَعمره كطالبٍ بالجامعة لا يساوي إلا بضعة أيامٍ قليلة.

ما يقربُ من مائة طالبٍ وطالبة أو يزيد تخْتلف أجناسهم وطبقاتهم، قبل أن تبدأ المحاضرة، جلس وحيداً يجاوره معطفه، بدأ يقلب صفحات كتاب القانون وكأنه يبحث عن شيءٍ ما، قبل أن يأنس بصوتٍ أنثويٍّ عذب يتفوه:

ـ صباح الخير، يجب أن أجلس هنا بجوارك أنت.

نظر الفتى يمينه فوجد فتاة تشابِهُ في سواد شعرهِ، عينيها زرقاء تبتسم له، تقول نعم كما سمعت، وتصافحه

فتجاهل الأولى وصافحها يقول ببله:

- لا يهُمني الأمر كثيراً.

ازدادت ابتسامة الفتاة وقالت وهي تترك يده:

- وأنا كذلك لا يهُمني حتى أن أعرفُك وتعرفني، الأهم أنني جلست بجوارك.

وتفرقت عيناهما لتتجه إلى صوت د / روبيرت محاضر القانون، المتكلم بلغة الجسد الذي طالما يأخذه حديثه إلى حقوق الإنسان ومكافحة العنصرية و...إلخ.

انتهت المحاضرة و قالت:

- سآتي غدًا، وأنتظرك هنا، فلا تتأخر

نظر إليها الفتى وقال:

- ما اسمك؟

فكتبت له في أول صفحات كتابه (إيفانكا)، و جلست بجوارك اليوم، وسأجلس كل يوم.

تركته وهو لا يبالي، حتى مر اليوم عليه وكأن شيء لم يمُر.

لم يفكر فيها إلا لحظاتٍ قليلة قبل أن يدخل قاعة المحاضرة، لم يلتفت حتى للبحث عنها في اليوم التالي، فهو لا يحب طريقة الأفلام الدراماتيكية غريبة الأطوار في بداية العلاقات كعادته، لا شيء جديد.

جلس في مقعده وحيدًا، حتى معطفه أبى أن يأتي معه ولكنه شعر في الوقت ذاتِه أنها تراه جيدًا، فأحب هذا التجاهل وتمادى ينتظر قدومها إليه، حتى تحقق شعوره عندما أحس بشيءٍ ما يتهشم من خلفه حتى لامست يدها اليمنى ترقوة كتفه الأيسر، وقالت بهدوء:

- يبدوا أن قلقك المتخفي أمام الناس مفضوحٌ أمامي، لماذا تخفي! لا تقلق أنا أهتم بك أيضًا.

نظر إليها ببلاهةٍ أشد من سابِقتها، وقال بتمعنٍ:

- بالفعل كنت أنتظرك،

قبل أن ينادي د/ روبيرت "إيفانكا الأمريكية"، واتجه بدوران رأسه يمينًا يقول "ويليام الإنجليزي"، "جوليا الفرنسية"، إلى أن صوب نظره مرةً أخرى نحوهما وقال: "خالد الأفغاني"، أنْصتوا إليّ، و أكمل قائلاً:

- اليوم نبتعد عن القانون، أو نسعى وراء قانون آخر، قانون السلام والحب، ها أنا روبيرت السويسري، رجلٌ يعيش في بريطانيا

أُحَدثُ جميع الجنسيات والأوطان والألوان، لا يجمع أحدٌ سوى الحب ولا يفرق إلا الكراهية.
بدأت إيفانكا تتجاهل حديث من حولها، ولا تهتم إلا بصوت د / روبرت وهو يكرر "خالد الأفغاني"
ونظرت إليه وكأنها النظرة الأولى وأحاطت أصابعها بذقنه مي تُدير وجههُ حتى أصبحت عيناه أمام عينيها وقالت:
كيف حالك أيها الأفغاني؟، لم تنتظر حتى أن يُجِيبها وتابعت أنا إيفانكا الأمريكية كما ناداني.
فأنزل الأفغانيُّ يَدها برفق، وكتب لها في أول صفحات كتابها، لا يهمني من أنتِ، أما عن حالي فهو بخير.
وبدأ صباح يومٍ جديد بلا جديد
كعادته مكث طيلة يومه لا يبالي، حتى جاء ليله فاستطرد التفكير لمدة خمس دقائق، دقيقة تلو الأخرى، وتكرر صوت الفتاة في أذنيه بعبارتها الساخطة " أنا إيفانكا الأمريكية" ،قد سمع صوتها ما يقرب من الخمس مرات.
في اليوم التالي.
لمحها الشاب تَقدُم عليه من بعيد، وكأنه يراها لأول مرة، وبدأت أنفاسه تضطرب فكانت هذه المرة أشبه بامرأة تنبعث منها قوةً حادة، شعرها كان مصفوفاً للوراء ينتهي أعلى منتصف فروتها بشكل حلزوني يثير الاهتمام، عدسات كروية يقف من ورائها عينان زرقاوان ولكن هذه المرة يميلان إلى الاخضرار. وكأنها قائدة للحركة النسوية في العالم

اقتربت الفتاة أكثر وكأنها جاءت من بلادٍ بعيدة لمناظرته وقد شعر الفتى وقتئذٍ بسعادة كبيرة، إذ أنه كان يحتاج الحديث معها ذاك اليوم تحديدًا، مرت الدقائق وقد خاب ظنه وكلاً منهما تابع الآخر بصمت، فلا أحد يتكلم ويتمتم أو حتى يغمغم.
حتى النظرات قد قطعت سُبلها، كان ينظر إليها بطرفه لكنه لاحظ أنها لا تهتم به اليوم، فازدادت لهفته للحديث، لكنه أبى، وبعد انتهاء المحاضرة ظلا الاثنان في سُكونهما لا صوت يعلو فوق صوت صفحات تُقلب بِثقلٍ تام، وصوت بحبحة منبعث من فمِ الفتى بينما إبهامه الأيمن يتصفح هاتفه، خلت القاعة تمامًا من الحضور إلا من فتاتين وثلاثة آخرين، كانوا في مناقشة ومسامرة تُسمع صوتها بشكل مقبول بعض الشيء حول الحياة والسفر، يبدوا أنهم جميعًا من جنسيات مختلفة، بينما كانت إيفانكا صامتةً تنظر أمامها ولا تحرك عينها يبدوا أنها تجهز ردة فعلٍ ما، وقد تأكد من ذلك عندما بادر حديثه معها ، إيفانكا لا يهمني صمتك فلا تقلقي، كان يحدثها بابتسامة لا معنى لها، وسكنت إيفانكا مكانها لا تتحرك نحو دقيقةً كاملة.
ثم أدارت جسدها للخلف وهو يترقب فعلتها دون أن تنظر إليه، وقد كانت لِتُخرج مجلة ووضعتها نصب أعينها وتهشمت النظر والتصفح في صفحاتها، ثم فتحت صفحتين إلى أقصاها ووجهتهُما تجاه عينه، كان في البداية يأبى أن يهتم أن ينظر إلى ماذا تريد، لكنه استدار بكامل جسده ووجه عينه بعد أن لمح صورة كاريكاتير يعرفه جيدًا، رجلٌ طويل القامة والوجه ذو لحيةٍ كثيفةٍ بيضاء،

يتبقى منها شعيرات الشباب السوداء، يرتدي جلبابًا أسودًا يَترقع منه فقاعات حمراء من الدم، يقود طائرة تدهس أناس بني الأبيض.

كانت هذه الصفحة الأولى، أما عن الثانية فهي لذات الرجل ويبدو أنه في ريعان شبابه، يقف وسط الجبال التي ينحدر من قاعها أخضر العُشب، يمسك بندقيته وكأنه يصوب على من يصوره، كان الفتى يفكر وبدا على تعابير وجهه مرارة الاستياء وتحولت نظَراته من أكثر الاندهاش إلى أقل الهدوء، ونظر إلى الفتاة قبل أن تتفوه بضحكات صدى قوتها المكان بأكمله وقالت: راعي الأغنام، قاتل الأبرياء، قاتل أمي وأبي "أسامة بن لادن"، ثم حدث نظراتها تجاهه وقالت:

- إنه الأفغاني

كادت الفتاة ينبعث من عينيها لهيب العنصرية تجاه الفتى، ظلت ملامحها تعبر عن رمادٍ متبقي من الكراهية بالرغم من أن صوتها كان يتقطع بغمغمةٍ حزينة عند قولها "قاتل أبي وأمي"

ومكث الاثنان يتبادلان النظرات والأفواه صامتةً ثم نهض الفتى في عجلة ليرفع حقيبته على كتفه الأيمن وليَترك المكان مسرعًا بعد أن التفت إليها وقال:

- كنت محقة، الأهم أن تجلسي بجواري اليوم وكل اليوم، غداً أراكِ

في الصباح المُعتاد جاءت الفتاةُ مبكرةً عن الفتى وجلست تنتظره، بينما كانت ذات المجلة مغلقة أمامها، حتى جاء الفتى بخطى غير

مُتعجلة، إذ كان يبدوا على الفتى أنه أصبح متعاطف لما سَمعه البارحة، جلس بجوارها وصافحها برقة شديدة وابتسامة طيبة، حتى لحقهما صوت د/ روبيرت بشرح بعض القوانين المنصوص عليها في اتفاقية الاتحاد الأوروبي لحقوق الإنسان، وكان يناقش تحديداً حق اللاجئين.

كانا الطالبان صامتين غير منصتين لما يقال من حولهما وجه الأول شاحب مثل الثاني، يبدوا أن صراع اليومين الماضيين مع الأرق كان في أقصى عنفوانه، وقد حدث ما كانا يتمنوه، قد انتهت المحاضرة و خلت القاعة بأكملها إلا من صوت فتاةٍ بيضاء وفتى أسود اللون، زنجي العرق، يثرثران بصوت عالٍ يسمعه بوضوح.

بدأ الفتى بحديثه للفتاة فاقترب منها حتى لامس كتفه الأيمن يسراها والتف مسرعًا يُخرج من حقيبته مجلة تشبه مجلتها، وقال لها: الآن حان دوري،

فتمتمت بسخرية مِنه وترسخ ببالها أنه سيريها صورة الأفغاني راعي الغنم وهو مقتول بالقصف، وقالت:

- ماذا تريد؟

فقال بعد أن أعطاها ما بيده: تفقدي الصفحات جيدًا، وستعرفينِ ما أريد،

أخذت الفتاة تتمعن الصفحات بهدوء تام واحدةً تلو الأخرى حتى تبقى ما يقرب من سبع صفحاتٍ وهي تنتظر بلهفة عما يريد الفتى أن تراه.

حتى وقعت عيناها على صورة لأُناسٍ عرايا الملبس يقفون

مستديرين لها، مقيدي الأيدي والأرجل، يقف وراءهم زيٌّ عسكري يلتصق به علم بلدها، وصورة أخرى رجل قد يناهز الستين من عمره عاري الجسد يقف على أربع تقف أمامه امرأةٌ بزيٍّ عسكري يلتصق عليها ذات العلم، وفي يدها أسورةٌ من حديدٍ تنتهي عند رقبة ذلك الرجل، تمالكت الفتاة نفسها رغم أنها تأثرت لما رأته، ولكن أدركت أن هذا هراء وأن هذه الصور تجمع الجيش الأمريكي والمعتقلين العراقيين، وأن هذا يبعد كل البعد عن قضيتها مع الفتى واستدارت إليه ثم قالت:

لا يهمني.

فتبعها الرد:

- يتبقى خمس صفحات .

اندهشت الفتاة وتابعت في صمتٍ تقلب، حتى رأت بيوتًا قد تحولت إلى رماد من أثر القصف وأشلاء مبعثرة في كل مكان، لم يكن ذاك المشهد مؤثرًا على قلب الفتاة، حتى لم تستطرد النظر إليه إلا للحظاتٍ بسيطة ثم التفت إليه وهي تميل برأسها إلى أسفل وأعلى، ورددت:

- لا يهمني، لا يُهمني ثم الثالثة انقطعت لأنها تفاجأت أنها تحدث نفسها، قد تركها الفتى دون أن تدري، وترك لها ورقةً، قد كتب فيها: "أعرف أنه لا يُهمك أي شيء حتى الجلوس بجواري لم يعد يُهمك، الصور لا تُهمك، ليست المشكلة مع العراقيين، أما عن الثانية فإنها أفغانية ولكن لا تَهُمك ولا تَهُمَنِي أيضاً، فإنها أشلاء يَصعُب التعرف على ملامحهم، لقد تفَقدتهم كثيراً من قبل ٧

سنوات إلى الآن ولم أستطع التعرف على نصف عائلتي، نعم إن بيتنا هو المقصوف تحت عينيك الآن، وتلك أشلاء عائلتي".
نرى الأشياء جيدًا، وعندما نسمعها جيدًا تختل الرؤية أحيانًا، الحقيقة عندي أنا أم عندك، والجريمة هنا أم هناك، والعقاب أتى ببرج التجارة أو ببيت عائلتي، والإرهاب أفغاني والسلام أمريكي ، والإعدام منك ينتظرني ، فأنا خالد الأفغاني وأنت إيفانكا الأمريكية.

**حديث اللاجئين**

الجو معتدل، لا يحتاج اليوم إلى مزيد من عصائر الفريش، درجة الحرارة منخفضة إلى حدٍ يقربُ من الجو المعتدل الذي لا يتخلله شيئًا من الرطوبة ،تضيء الشمس ذاك النهار، ما أجمل ضوئها عندما يلامس ذرات الأوكسجين.
كانا في إحدى المطاعم المتوسطة بين الفاخرة والمتواضعة، والتي

يتجمع فيها من يشبه حالهما، حقًا إنهما لاجئين في مدينة مانشيستر بالعاصمة الإنجليزية لندن.
يجلس أمامه صديقه الروسي الذي يفتخر باسمه " مولوتوف " لأن هذا الاسم كان لرفيقٍ من رِفقاء الثورة البلشفية التي طالما حدثني عنها صديقه الذي هرب من إحدى ضواحي موسكو، وأخبرني أيضًا أن ضاحيَته بالقرب من ضاحية الأديب دوستويفسكي، لذا كان يحدثه في بعض الأوقات بألفاظ تعبيرية وتَشبيهية واسعة الأفق، كم أحب الحديث معه، تعرف عليه منذ يومين فقط، فكلاهما يُجيدا التحدث بالإنجليزية بشكل مرن، بعد أن تعلماهَا منذ عدةِ أشهر، عندما هرب الأول من شنغهاي الصينية موطنه، ويدعى"بارك تشو يونج"
وفي دقائق صباح هذا اليوم دار الحديث بينهما.
_صباح الخير صديقي مولوتوف، كيف ححال؟
فرد عليه الآخر وهو يتأدب بارك تشو يونج
- أنا بخير، كُن دائمًا مثلي.
فتابع الأول دون تكلف:
- يسعدني ذلك سأطلب مزيدًا من الكعك لكي نتناولها سويًا،
فألحقه الآخر وهو يشير بإبهامه:
- وكوبٌ إضافيٌّ من الشاي الإنجليزي وليس الروسي أو الصيني.
_ بالتأكيد إنه الشاي الإنجليزي.
وظل الصمت سائدًا حتى أن بدأ أحدهما الحديث والاطمئنان على أحوال المعيشة والصحة، وقبل أن يتطرق حديثهما إلى أمورٍ

أخرى، جاء إدوارد الإنجليزي وهو فتى في العشرينات من عمره، طويل القامة، مخروط الأنف، واسع العينين، شعره أملس لدرجة الانسياب، مرن الحركة يحمل معه وعاءًا مخصصًا للكعكِ وأبخرةِ دخانٍ تتصاعد من قدحين شفافين لمياه الشاي الأحمر.

ألقى الشاب الصباح عليهما بابتسامة ترحيب تشبه ابتسامة البارحة، أنزل الطلب ثم التفت سريعًا ليكمل عمله دون ثرثرة.

بدأ الطالبان في تناول المطلوب، وكان الصيني جائع كأنه لم يذق شيئا منذ زمن طويل، يلتهم الكعك حتى أطبق جفنيه من شدة الجوع، وبعد أن انتهى الاثنان من الكعك، وما زال أبخرة الدخان تتصاعد، بدأ حديثهما مرةً أخرى.

_ما رأيك في كعك اليوم إنه شهي للغاية، أليس كذلك يا " بارك " ؟

_نعم ، ولكن كان حامٍ في سخونته حيث تشقق لساني، وأكمل " تشي يونغ " وهو يقلده في التفلسف:

- لكن على عكس الطقس في بلادكم أيها الأبيض الروسي البارد.

وتابع بجدية:

- أخبرني يا مولوتوف، ما أحوال الطقس السياسية في روسيا؟

أعلم أنه متجمد كالطقس المناخي، أعرف أن بلادكم تعاني من الدكتاتورية، ومنع الحريات، والاضطهاد السياسي، وانتهاك حقوق الإنسان، وفردية الحكم المتمثلة في الحزب الواحد.

تنهد الأبيض قليلاً وكأن القوقازي ذَكرهُ بأشياء لا يحب استرجاعها وقال:

- أجل يا رفيقي، بلادي لا تختلف كثيرًا عن بلاد القوقاز عندكم، أوطانٌ خالية من الحريات وحقوق الإنسان والتعبير عن الرأي وحق ممارسة السياسة والإعلام الموضوعي الذي يظهر سلبيات الحكومة، وغير ذلك كثيرًا، وأنت تعرف الكثير.

وأتبع وقد بدت ملامح وجهه تتقلب ولكن أخبرني يا أيها القوقازي.

- لماذا طردوك من وطنك شنغهاي؟ أعرف أنها مليئة بالسكان ألهذا طردوك؟_ وقد ارتسمت تجاعيد الضحكات على وجنتيه_ ..

فرد بابتسامة تجاعيدها ثقيلة قد عقدت محاسن وجهه وقال:

- أيها الدب الأبيض لم يطردني أحد، فقد هربت عندما صُدر بحقي جواب اعتقال من مكتب رفيع المستوى بالأمن الصيني، قصة هروبي أحداثها تروى في أسابيع قادمة، ليس وقتها الآن.

_أجبني أيها الهارب المغولي لماذا هربت؟!

اشمئز الهارب من لقب المغولي وقد انغمس دقيقة يسترجع بخياله ذكريات شنغهاي وخروجه منها، ثم تنهد بحزن وقال:

- هربت من بلادي لسببٍ يشبه سبب هروبك من بلدك يا " مولوتوف "، أنت هربت بسبب مقال صحفي تُعارض به سياسات الحكومة بشأن الديكتاتورية والحكم الواحد، و بشأن التدخل العسكري في الأراضي السورية، فغضبت عليك حكومتك، وقررت أن تطعمك مذاق غضبتها، وهربت خوفا من شدة مُرِها، ولكنني وبصفتي مهندس الميكانيكا ما فعلته أنني كنت أتحدث مع أحد زملائي عن حقوق العمال و الفلاحين الصينيين الكادحين فسمعني أحدهم وقد أبلغ الأمن أنني أحرض على الأفكار العدائية للثورة

و القائد الأعظم، وتداولت بعد ذلك إلى أن وصلت أنني جاسوسًا لدى الاستخبارات الأمريكية وأشياء خرافية من هذا القبيل، وهربت قبل أن يتم القبض على صديقي الذي كنت أتحدث معه حيث إنه يقبع وراء قضبان لا يعرفه أحد مكانه إلى الآن.
سمع رفيقه الحديث فلم يتأثر كثيرًا، وكأن شيئًا لم يقال ثم وضع كوب الشاي أمامه فارغًا بعد أن أفناه.
وقال بلسان فاقد الأمل:
وماذا بعد أيها اللاجئ؟ إلى متى سنبقى ماكثينَ في بلادٍ غير بلادنا! سئمنا هذا، حالنا يشبه حال السوريين والعراقيين اللاجئين في بلاد العالم الغربي ونحن نرى منهم كثيرًا هنا!
فأجاب بتوجس ودون شغف للحديث:
- يا صديقي أو يا رفيقي كما تسمون بعضكم البعض في روسيا، نحن الآن أحسن حالاً من العيش في أوطاننا، لننعم بحياتنا هنا وننسى أوطانًا تبحث عنا لتقتلنا أو تقيدنا. وأكمل وابتسامة البائس قد سيطرت على وجهه، فربما شخص ما هناك يدخل علينا الآن أسوأ منا لجوءً.

ثم أتبع الروسي في لهفة ورأسه ترتفع وقال: بارك، انظر هناك شخص قوقازي ربما يشبهك كثيرًا، شكلاً ووطنًا وحالاً!
نظر "بارك تشو يونج" بعجلة إلى الوراء في دهشة، وقام مسرعاً ينادي علي شبيهه القوقازي ليجلس معه مشتاقًا سرد روايته، رفع القوقازي يده ينادي شبيهه للقدوم.

رآه وقدم إليه في سعادة، وبدا عليه الاطمئنان، يبدو أنه غريب على هذا المكان.

وكان شاب مغولي من الطراز الأول طويل القامة، رفيع البدن، هش البنية، مجعد الوجه، فضفاض الملبس، يحمل حقيبة يبدوا عليها أنها لا تحمل شيء.

اجتمع الثلاثة، و بدأ الحوار ثلاثياً هكذا:

_تفضل معنا، سنجلب لك مزيدًا من الكعك، مرحبا بك، اسمي "مولوتوف".

عملتُ صحفيًا سابقًا في موطني القديم، روسيا _ وعلى غير عادته يدلي الروسي بمهنته لرجل لم يعرفه بعد_ ، وهذا صديقي القوقازي "بارك"، إنه يشبهك كثيرًا، وأعلم أنَكما ستصبحان أصدقاء، فأنتما أبناء وطنٍ واحد.

فابتسم بارك وأتبع:

- مرحبًا بك، أنا بارك تشو يونج أعمل مهندس ميكانيكا موطني شنغهاي، ما اسمك، وأين تمكث في الصين تحديدًا، وما الذي جاء بك إلى هنا؟

فأجاب ثالثهما وقد تحدق النظر إليهما ووجه عينه إلى شبيهه وقال:

- أنا قوقازي مثلك اسمي " بان كي شو "،ولكن لست صينيًا، أنا من كوريا الشمالية.

فتابع الدب الأبيض كما يستاء أن ينادى:

- وما الذي أتى بك إلى هنا؟

فأجاب:

- أنا لاجئ هنا.

فسأله الأول:

- ولماذا لجأت؟

فقال دون أي إبداء شعور: يجلس معكم الآن ضابط بالجيش الكوري، لجأت إلى هنا هربًا من تنفيذ الحكم الذي صدر من الحكومة بسبب جريمة ارتكبتها.

انتبه الاثنان بعد هذا القول وانتابَهُما الشغف لمعرفة تلك الجريمة، وقالاَ في صوتان تداخلاَ في بعضهما البعض:

-ما هي الجريمة يا " بان كي "، وما عقابك؟

_ما هي الجريمة!

أجاب وهو يبتسم لهفتهِما: جريمتي شنيعة للغاية وهي أنني لم أصفق جيدًا في مؤتمر للزعيم الكوري والقائد الأعظم للجمهورية الكورية، وكان العقاب الحكم بالإعدام عن طريق ضربي بصواريخ الهاون في ميدان عام، فهربت.

أما قصة هروبي فهي شأني الخاص ولا أريد التحدث عنها.

وأتبع يتساءل: أما عنكما، فما الذي لجأ بكما إلى هنا ؟

ومن بعد سؤاله قد غشى الصمت المكان ثم انفجرت ضحكات هستيرية من اللاجئين الثلاث.

فجاء إدوارد يتساءل أي الطعام و الشراب أحب إلى جوف اللاجئ الثالث؟

**الحب في زمن الثورة**
لا أحد يستطيع الكف عن القلم، فهو شاهد الذكريات، ملتقى الأرواح، شهيد الثورات، أسير الحروب.
كانت الفتاةٌ تائهةً لا تعرف إلى أين تتجه بالتحديد، يمينًا أم يسارًا. توقفت للتو وقد ارتعش جسدها من شدة انخفاض درجات الحرارة، حتى أنها مسكت بمعطفها ودارت به حول عُنقها عدة مرات حتى اختفى النصفُ الأسفل من أذنيها وباتت خصلات شعرها الأسود تختبئ به، أخذت عينيها تتفقد نافذة تلو الأخرى حتى انتهيت بنورٍ يشُع من بعيدٍ قادم إليها، انحنت قليلاً إلى أن شبكت يديها بذراع حقيبتها فحملتها عنوةً عنها لثِقلها وصارت تمشي بهدوء تستقبل النور شيئًا فشيء، كان الظلام غير دامس، كانت ترى الناس يمينًا ويسارًا بغير وضوح، حتى أنها جلست على مقعدٍ كان خاليًا، إلا من نظراتٍ يتخللها الريبة، كانت قادمة من أمامها.
جلست الفتاة لا تبالي بمن حولها من نظرات ووجوه، ظل الصمت سائدًا بعد أن طغى على الجميع صوتُ صافرةٍ، تعلن عن بدء عجلات القطار في التحرك، وبدأ الطريق يصخُبُ بلا رجعة للهدوء.
ظلت المرأة صامته تترصدُ من حولها من بعد ما كانت متبلدة، قد

أصبح جسدها أكثر دفئًا الآن، وهدأ جوفها بعد ما تناولت بعض قِطع الحلوى من حقيبتها، أخذت تفكر فيما ينتظرها من صعاب، بينما كانت تحاول الاتصال بصديقتها "أليس"، التي لم تستجب لها منذ يوم، فتركت لها رسائل تُخبرها أنها قادمة إليها، هاربةً من الهلكة.

انبرى ضوء السماء يتجلى، والشمس تقدُمُ من بعيدٍ لا أحد يراها، بدأت الفتاة تتهشمُ نظرات الرجل تحدق بها، كانت نظرات تحثها على الشك، يبدو أنه تعرف عليها، ظلت في قلقها، تأكدت في سريرتها أنه يعرفها، ارتبكت رعبًا أن يُدلي عليها.

عاودت الاتصال مرةً أخرى بصديقها ولكن بلا جدوى، بقت أعين الفتى تستتر بأوراق الجرائد بينما تستمر في مراقبتها، انتفضت الفتاة من مكانها لتذهب لآخر، تشبثت مكانها عندما سمعته ينطق اسمها "إيزولد" .

بينما كانت الفتاة ترتجف هذه المرة من صوته الأنيق، ولكنها التفتت إليه دون ترنح وكان ينظر إليها بعمق، وقالت له بهدوء ودون تلعثم: هل تعرفني؟

فتابع: نعم أعرفك، كنت أظن في البداية ولكني تأكدت منذ لحظاتٍ عندما رأيتك.

سهَمت إيزولد عينيها تجاهه وابتسمت، ثم أتبعت:

ماذا تعني؟

التفت إليها أكثر فقال:

- أتعرفين أألي؟

فردت وقد انتَابها البلاهة:
- لا أعرفها، من تكون أليس؟.
فابتسم يطمئنها وتابع:
- تكون صديقتك السياسية.
فعزفت عن الحديث.
فتابع: إذًا أنت تعرفينني .
تساءلت: ما اسمك؟
أجاب: ألكسندر، وأكمل هل تتذكرين شخصًا كان برفقتك مع أليس يوم أن جئت إلى مقر الحزب في مقابلة رسمية مع المسؤول السياسي بالحزب، عندئذٍ قد تحدثت معك.
بدأت تطمئن سريرتها وتدُق أنفاسها بعقاربٍ منتظمة، الآن قد تذكرتك أيها المصور.
فتابع: مرحبًا بك إيزولد فريدريك هوبز.
بعد أن سمعته ينادي اسم عائلتها رجعت إلى تبلُدِها، فمد يده ليعطي لها الجريدة وقال: هذه صورتك.
ظلت فتاة الإعلام في ارتباكها وأخذت الأوراق ودارت عيونها تبحث، فرأت نصًا
"الحكومة تقرر إلقاء القبض على الصحفية "إيزولد فريدريك هوبز" لتحريضها ومشاركتها في أعمال عنفٍ وفوضى، تقوم بها جماعات مسلحة تخريبية، تطالب بإسقاط النظام.
شحب وجه الهاربة!
فسألها: ماذا فعلت؟

أجابت: لا شيء.
_ كيف؟
_ حدثت اضطرابات في العاصمة واضطراباتٌ عمالية، ومظاهراتٌ حُشدت من أجل إسقاط الرئيس، وقمت بتغطية تلك الأحداث، و اجتاحت قوات موالية للرئيس مقر الجريدة وكنت في تغطية بالخارج، فاعتدوا على من هناك وقاموا باعتقال رئيس التحرير إلى مكان مجهول، لقد هاجموا بيتي، بل يبحثون عني في كل مكان، لم يتركوا أحدًا أعرفه إلا قاموا باستجوابه عني، وكنت مختبئةً عند أحدهم قبل أن يأتوا إليه هو الآخر، تواصلت مع أليس لأمكث معها، ولكنها انقطعت منذ أول أمس، شعرت الفتاة الهاربة أنها تثرثر، فتوقفت لحظات، وهو مازال يحدُق بها حتى عاودت الحديث.
_أتعرف السبيل إلى أليس؟
فرد بهدوء تام لم يحرك سوى شفتاه وهو يقول: "أليس" قد اختفت منذ أن انقطعت عنك.
_كيف؟
فتابع يتساءل: هل سمعت عن الاضطرابات التي حدثت منذ يومين في المدينة المملكة عندنا!
قد سمعت ولم أتابع فقد انقطعت عني وسائل التواصل
حدثت أعمال عنف بين المتظاهرين والحرس الملكي بالقرب من القصر، فكانت ثمة مفاجأةً للحكومة والملك، و قد وصل للقصر الملكي أنباء سرية بأن الحزب وراء ما يحدث في الشوارع، وأنه قام

بتحريض المتظاهرين بإصلاحات جذرية، (تغيير الدستور، إقالة الحكومة، الالتفات إلى حقوق الجماهير المنهوبة).

فاستجاب الملك بقتل من يتظاهرون في الشوارع، وتابع في السرد:

- أول أمس لم يذهب أحدٌ منا إلى مقر الحزب، لأننا قد جاءتنا الأقاويل أن الحرس الملكي قد قام باقتحام المقر وتجريده من مستنداتٍ وأوراق، أما صديقتك، كنت على موعدٍ معها في بداية المساء ولكن غاب سبيلها، ربما روى لي والدُها أنه رويّ له "أنها اختُطفت من أمام البيت من قِبل أُناس يرتدون زي عسكري يتبعون للملك".

غشى الصمتُ قليلاً بعد أن كثُر الحديث، وكأن الهاربة تشاجبُ قدرها ولا تعرف، هي الآن فاقدة الهوية تخاف الرجوع إلى الهاوية، تأبى الوصول إلى بلدة صديقتها التي فقدت، ربما بلا رجعة.

نهضت مرةً ثانية بعد أن كانت مستلقية يستعبدها اليأس، وقالت بكبرياء المثقفين: يجب أن أعود إلى أبخازيا، كانت تستدير بعد أن انحنت لتحمل حقيبتها وقد انزلق معطفها على الأرض، وطمست خصلات شعرها الأسود وجهها، وارتبكت وكأنها طفلةً صغيرة تغضب من أشيائها، فنهض هو الآخر يحاول إيقافها.

التفتت إليه عندما أمسك ذراعها متسائلاً باستنكار!

إلى أين أنت ذاهبة؟

فأجابت دون أدنى ثقة ، سأعود إلى وطني.

فرد بانتباه ارتفع له حاجبيه: سيعتقلونَكِ .

فتساءلت ماذا أفعل؟

فأجاب: تكملي طريقك.
فابتسمت ورددت: إلى أين؟
فقال: إلى مملكة "توكيلاو"، أو ربما إلى الهاوية.
فقهقهت تُدوي عن بأسها، وخطت إلى الوراء حتى لامست أعلى قصبتها حافة المقعد ومكثت قليلاً، لا قدرة لها على التفكير فيما مضى، وما هو آت، حتى نظرت إليه تتفحصه بدقة للمرة الأولى جيدًا، كان وجه ألكسندر خمريُّ اللون، أنفه يستقيم، عيناه تلمع من انعكاس ضوءِ الشمس المخفف لهيبه، حتى طمس هذا اللمعان بِصفحات الجريدة التي عاود النظر إليها، كان الفتى رياضيُّ الجسد، طويل القامة، يرتدي معطفًا أسود اللون، و بنطالاً يشبه ما فوقه جاكت بني قاتم اللون ثقيل الجلد، أحست الفتاة أنه من أثرياء القوم لولا أن كانت نظرتها الأخيرة على قدمه الموضوعة على الأخرى فرأت جواربه تتدلى على حذائه وكأنه لم يخلعها منذ أن ولد،
وبعدها سهمّت عينيها في صمتٍ صواب الطريق الصاخب صوته.
كان صاحب الجوارب ينظر إلي الجريدة في أقصى درجات التشتت، حتى برز عليه الاستياء، فألقاها فرجع ضوء الشمس، فاستدارت إليه متلهفة وقالت : وماذا عنك يا ألكسندر؟
فضاقت جفونه بتحدقٍ وقال: ماذا؟
فازدادت لهفة سؤالها وكررت بوضوح: ما الذي أتى بك إلى أبخازيا، ولماذا رجعت؟
فرد وكأنه يسخر من حاله.
ذهبت حتى لا أمضي قدمًا نحو من اختطفوا زميلتي، فضاقت بي

(توكيلاو)، ذهبت إلى صديقي (فرناندو) فلم أجده، فبحث عنه فوجدت مصيره كمصير صديقتك.
فتابعت بشموخ و بلباقة المتفوه: وبعد ذلك أصبح مصير المصور ألكسندر كمصير الصحفية إيزولد.
وحينها قد شعرت الصحفية أن المصور قد تبين له أنوثتها بل كان يشِعُ من لمعان عينيه ضوء الإعجاب والتقدير لثباتها، فلم تتردد في التحديق إليه وإبداء اللطف هي الأخرى.
فأتبع وقد علا صوته:
- نعم ألكسندر و إيزولد إلى الهاوية.
يبدوا أن العلاقة بينهما قد توطدت في عدة دقائق، قليلٌ من الابتسامات اندثر منها كثيرًا من الود والقرب، بات ذلك جليًا، وتُرجم إلى واقعٍ سعيد محا الحزن المنتظر.
وحينما وصلوا، وقبل أن ينزلا.
إيزولد أصغي إلي: سأصطحبك الآن إلى بيت جدتي، فهي امرأة عجوز لا حول لها، ستختفي عندها بعض من الوقت حتى يستقر الأمر.
فتابعت وكأنها لا تصغ إليه:
- وأنت؟
فرد بثقة: لا عليك، سأمكث عند أحد أصدقائي و وسأراك من حينٍ لآخر.
فأكملت: إيزولد .. ،فقاطعها: لا وقت الآن قد توقف القطار ولن يسعنا الطريق للحديث، أكملي صمتك و ارتدي معطفك أما عن حقيبتك فهي مسؤوليتي.

لم يكن ألكسندر يستطيع أن يخلف وعده في رؤيتها، حتى ما إن مرّ أسبوع إلا وقد عرَض حياته للخطر، وذهب ليراها ويتحدث معها.
أما عن الفتاة فكانت تتلهف رؤيته، وصوته يصدح في كل مكان مدويًا في أذنيها، قلبها يعاني من مرضِ الشغف به، ومرت الرؤى حتى آنَ ميعاد الاعتراف!
_إيزولد، أحبك، ما رأيك بالزواج؟
كانت إيزولد في حالة سرور، قد لمعت عينيها من شدة صورتها في مرآة عينه، تمتمت بصوت هادئ: ألكسندر أحبك.
ثم قالت: عليك ألا تتسرع.
_لا يوجد وقت، يجب أن نتزوج.
لا أتكلم عن الزواج بل أقصد تلك اللحظة، كنت أنتظرها، ولا أريدها أن تمضي في عجلة.
ابتسم العاشق لها وقال بتفلسف: لم أتوقع أن يكون حُبنا ثورةً ثالثةً أشدُ غضبًا من ثورتي أبخازيا و توكيلاو.
إنه التقاء الثورات فانفجر التقاء الأرواح.
_إيزولد، أكرر، أحبك.
ألكسندر، أحبك أيضًا، ولكننا كنا نعرف أننا حتمًا سنفترق.
في هذه اللحظة قد غشى صوت صافرة القطار المدوية يستعد للوقوف،
لم تعد الفتاة تستطيع النهوض، قلمها سكن بين أصابعها لا يستطيع الكتابة مجددًا، فتلك النهاية.
لا تصدق، لا تصدق أنها عائدة وحدها، تعرف أن إيَابها يختلف

عن ذهابها، كان الذهاب معه والإياب بدونه، هي الآن منتصرة.
قد زال حكم الرئيس وأصبحت أبخازيا حرة، قد انتهى أمر اعتقالها، كما انتهى حكم الرئيس وحكومته.
حتى صديقتها المقربة "أليس"، لم تعد مختطفة فقد ظهرت في إحدى سجون (توكيلاو) بعد أن حُكم عليها بالسجن لمدة عشر سنوات في قضية " التخابر مع جهات أجنبية لقلب نظام حكم الملك "، يُقال في الجريدة أنهم قد عثروا على أوراق تفيد ضلوعها في تلك الجريمة .
ليست وحدها بل زوج (إيزولد) ضالع معها، نعم ألكسندر قد قُبض عليه.
حُكم عليه بالإعدام شنقًا لذات الجريمة التي ذُكرت، نُفذ الحكم عليه منذ سنتين تقريبًا، عشرةُ أيامٍ فقط بعد صدور الحكم كانت كفيلة أن تلقي المصور إلى الهاوية.

**عم لبيب**
دَقت عقاربُ الساعةِ عند التاسعة، كان عم لبيب مستلقيًا على فراشه، استيقظ على صوت أحدهم يطرق على باب غرفته يقول:
- الساعة تسعه يا أبو أسماء،
فرَد وعيناه مغلقة:
- حاضر.
وجد الرجل صعوبة في النهوض لما يعانيه من خشونةٍ في منتصف

ظهرِهِ تحديدًا بالفقرات القطنية، لكنه نهض بوجه مجعد بين كل تجعيدةٍ وأخرى شقاء سنوات، فتح درج الكمودينو، جلب بعض الملابس الداخلية واستخرج منشفة على كتفه، وفتح الباب فوقعت عينه على صغيرته هدير تمسك ضفيرتيها وتضحك وهي تشاهد الكرتون كانت منسجمةً انسجامًا تامًا حتى أنها ما التفت إلى أبيها عندما قَبَل رأسها قُبلة عطفٍ وحبٍ لها.

التفتَ الأب مسرعًا مبتسمًا يُجيب المتسائل:

- "اه صحيت ورايح الشغل" .. عايزة حاجة؟

- فأجابت المتسائلة باهتمام يحده نوعٌ من العطف والأمومة المبكرة بعد أن التفت تاركة خلفها شاشة الحاسوب:

- شكرًا، "ربنا ما يحرمنا من سؤالك، خلي بالك من نفسك".

تَخرجت الفتاة من كلية التجارة منذ سنتين، كانت الفتاة شغوفةً بالحاسوب في الأيامِ الأخيرة، تبحث عن عملٍ عبر الإنترنت بعدما تركت عملها في إحدى محلات الملابس النسائية بدون سبب، أو بِحُجةِ أنها تعِبت من العمل أو بسببٍ لا يعرفُه سِوى أم أسماء، ربما ضايقها صاحب المحل ببعض الألفاظ والسلوكيات، إنه شابٌ طائش.

انتهى عَم لبيب من مرحاضهِ، وخرج متجهًا إلى غرفته ليبدل ملابس البيت بملابس العمل، بينما كانت أم أسماء تقف أمام مقلاة البيض تنتظر تماسك البيضة الثانية.

خرج الرجل من غرفته بعدما أبدى استعداده للعمل، اتكأ على أريكةٍ غير مثبتة قد دأب خشب كعبها، جاءت الزوجة عباءتها قد بُقِعَت بألوان الطماطم الحمراء القاتمة تضع أمامه صينيةً بها شرائحُ

الطماطم، قطعة جبن، بيض مقليّ، باذنجان يزداد مِلحهُ بجانب اصفرار البطاطس المهروسة. ويبتعد عنهم كوبٌ من الشاي يتصاعد منه دخان.

انحنى ظهر الجائع ليبدأ رحلة الشبع التي لا تنتهي، مسك رغيف العيش وبدأ في الانغماس، تذكر الرجل مشاجرته في الظهيرة مع شاب صغير عندما ناداه بصوت صاخب متكبر يفقد أدب المتحدث مع رجل قد شاب عمره قبل أن يشيب شعره، وبوجهة ينبعث منه التكبر و الغباء الفطري يطلب منه أن يُسرع في بيع الخبز له حتى اشتدَ الكلام بينهُما فنهر الواقفون الشاب لسوء تعامله مع الشايب، أفاقَ على صوت أسماء وهي تمشي بعجلةٍ وتقول:

- حاضر يا إسلام هفتح أهو

ربما كل هذا لم يقلق تمعُن هدير الصغيرة عمّا تراه من مناورةٍ استمرت ما يقرب من نصف ساعة بين القط والفأر

دخل إسلام بيده حقيبة صغيرة تشمل بعض الملخصات والمراجع، أوقف الرجُل طاحونة أسنانه وهي تمضغ الطعام، سلم على والده وقَبَل منتصف جبينه حتى لامست عدسات نظارته السوداء شعر والده، قال الوالد بلهفة:

- طمني يا دكتور، أخبار الامتحان؟

تابع إسلام : متقلقش يا حاج كلها امتحانين بالظبط وابنك هيكون دكتور رسمي، عندها دخلت أم أسماء ولسانها يرقص بالزغاريد فرِحةً لما يُقال تاركةً الحوض عليه أطباقٌ غارقة في سائلها تنتظر التشطيف وقالت: أحسن دكتور في الدنيا إن شاء الله.

سمع الرجل تلك الكلمات والزغاريد وانتابه شعور معنوي فرد تجاعيد وجهه وأنساه خناقة الظهيرة، بل أنساه أنه يعمل في فرن عيشٍ من الأساس.
وردد الرجل ثلاث مرات " الحمد لله " ، لا أعرف كان يقولها لأن ابنه أشرف على التخرج أم على انتهائه من تناول الأكل، ثم مسك كوب الشاي قد هدأت سخونته فشربه ثمَّ نهض استعدادًا للخروج .
فحدثه الابن: رايح الشغل؟
فتابع ورأسه تهتز
- أيوة ، ، معك كتب المادتين اللي لسة؟
فرد الابن وهو يطبطب على كتف والده:
- معي، لا تقلق يا والدي
فكرر الرجل ندائه للجميع إن كان بإمكانهم طلب شيء فلم يجب أحد بأي طلبات سوى الصغيرة، قد انتهت المناورة فطلبت بحقوقها من والدها بعض الحلويات والبسكويت وردت له قُبلته على وجنتيهِ بدلاً من رأسهِ.
نزل الرجل متجهًا إلى الغاية، فكان الميكروباص هي الوسيلة لإيصاله، جلس الرجل، دفع الأجرة، لاحظ نظرات، ثم تلمُز، فضحكاتٍ بصوت مزعج لفتاةٍ وفتى يجلسون بجانبه في المراهقة من عمرهم .
نظر لهما عَم لبيب، فازدادوا ضحكًا هستيريًا، لم يكن بمثابة الجَدِ لهم شيئًا مضحكًا، ربما ضحكوا على ارتدائه بنطالًا أسودًا بداخله

قميصٌ أزرق يمسكُه حزام يشبه البنطال في لونه ملصق على ذراعه الأيمن شارةٌ حمراء يُكتب عليها كلمة (سيكيورتي) بمعنى الأمن، ربما!
لا أهتم بهذا اللغز كثيرًا، قد نزلاَ من الميكروباص ليكملاَ طريقهُما وضحكاتهُما بعيدًا عني، وعشر دقائق مرت والأب يتذكر أنه بعد عدة أشهر سيصبح والد الطبيب، وبالتأكيد أن الطبيب سوف يساعده في دخلِ البيت، وبإمكانه ترك عمل الليل الذي حتمًا مع مرور الوقت سيقضي عليه.
دخل الحارس مستشفى الربيع الخاصة، فقابله صوت يبعد عنه بعدة أمتار، ينادي:
- ياعم لبيب تأخرت ربع ساعة، فلاحقهُ بالرد، ظهري بيوجعني جدًا وكنت هكلمك أقولك مش جاي، فازداد الرجل صياحًا: عجزت وانتهيت ياعم لبيب سبعة وخمسين سنة، ربنا يعطيك الصحة.
ثم تركه وذهب من حيث جاء، جلس الحارس العجوز في كشك الأمن بالقرب من بوابة المستشفى وبالقرب منه شابُ يقدٰم على الزواج في أيامه القادمة، كان يسكُب فنجانين من القهوة بعدما سواهُما على نارٍ هادئة، ليبدأ رحلتهُما مع الأمن والمراقبة .
راح الحارسان يتسامران بينما الأمن كان مستتبًا استتابة المذنب بعد توبته ، جلس الحارس الفتى يسرد قصة حبه مع خطيبته الحالية وزوجته المستقبلية وبنت الجيران وبنت عمه ذات الوقت، وكم هو يُحبها ويتمنى وجودهما معًا في بيتٍ واحد، كان الفتى ثرثارًا، يشجُب حظه، من جلس يسمعه حتى تركه عَم لبيب يلهث وسرح

بعيدًا، ولكن لم يستمر صبر الحارس العجوز كثيرًا، فخلال بضعة أشهر قد عُفي الطبيب من الخدمة العسكرية وأخذ أوراقه وتكلَّفَ في إحدى المستشفيات وبات الطبيب ليلاً نهارًا يعمل ويجتهد، حتى جاء اليوم الذي دخل على والده وقبل رأسه وحضنه بعد ما قال: يا أبو الدكتور، آن الأوان أن تستريح من عملك في الفرن والمستشفى، وكفاية تعبك علينا السنين اللي فاتت دي كلها.

أبى الرجل أن يترك عمله في الفُرن بعد ما وافق تركه في المستشفى، لأنه كان يتحسب زيادة الأسعار، وكان يدرك أن الهمّ سيكون ثقيلاً على الطبيب في إشراقة حياته.

تحسن دخل البيت، زادت ضحكات على وجوه ساكنيه، وطُردت تجاعيد الهم والبؤسِ،كانت همةُ الفتى تزداد يومًا بعد يوم، قد تخصص في طب العظام، أصبح من الشباب المشهورين في المستشفى بذكائهم وعلمهم، كان يسهر ليالٍ بين مراجعة الكتب والأبحاث الطبية وبين العمل حتى فاجأه أحد أطباء العظام الأشهر في المدينة بأنه سيتولى مهام إدارة قسم العظام في مستشفاه الخاصة، جاء الخبر بمثابة ضربة جزاءٍ لفريق طالما ينتظرها، فرح الطبيب عندما رأى دموع والدته تنجرف ببطءٍ من وراء جفنيها، بينما كانت الأخت الأكبر تتولى مهام تحضير العشاء، والصغرى كانت تتلهف انتصارها مع معركتها المستمرة في ألعاب الهاتف، بينما كان الأب غير مقتنع بكلام الابن، وتناقل الحوار بينهما بهدوء، كلٌ منهما يحاول إقناع الآخر وتكرر الحديث.

الأب: لن أترك عملي في الفرن.

الابن: يا والدي، لن نَحتاج بعد اليوم لمالِ هذا العمل الشاق عليّك، يجب أن تستريح، الآن راتبي تضاعف عدة مرات.
طال الحديث حتى تذكر الأب الحارس الفتي الثرثار الذي كان يعمل معه، وفي نهاية المطاف وافق الرجل أن يترك عمله ليس اقتناعًا بما قاله الابن، ولكن اغتاله شعورٌ بأن الطبيب وسط مجتمعه الجديد من الأطباء والطبيبات لا يصح أن يعمل والده فَران عيش، قد زال الظن وتأكد الأب عندما انتهى الكلام بقول الابن: أخيرًا يا أبو الدكتور اقتنعت، وهو يضحك فرحًا بهذا القرار.
لم يلحق الرجل أن يأخذه التفكير بعيدًا، فجاءت أسماء التي لم تعد تهتم بالحاسوب ولا بالبحث عن العمل، تحمل كفَتيها بالتوازي صينية أكبر من سابقتيها، بها شعيرات ملتوية من المكرونة، وطبقٌ آخر ترصصُ به أصابع الكفتة الساخنة اللامعة من تخلل الزيت بداخلها.
أصبح الجميع ملتفًا حول منضدة الكفتة إلا هدير أبت أن تأتي إلا متَأخرةً بعد أن انتهت من صراعها.
صار الجميع يتسامر بصوتٍ يقطعه صوت التماس الملاعق والأطباق، حتى توقفت أسماء عن الطعام واستمرت وجنتيها تتغير بين الشحوب والاحمرار، عندما أخبرها الطبيب بأن صديقه الأكبر دكتور رفعت طلب يدها ويريد أن يحدد موعد ليأتي مع ذويه إلى صالونهم في جلسة رسمية.
سمع الرجل هذه الكلمات وانعزلت أذنيه بعيدًا، بعد أن أبدى رأيه بالترحيب بقدومهِ يوم الخميس القادم، لم يستطع الأب مقاومة

التفكير بعيدًا منعزلاً يتذكر الهموم ويشجب الزمن ويحمد الله على ما هم عليه الآن، حتى أنه يكاد يرى الثلاثة أمامه يحركون أفواههم دون صوتٍ كالعرائس في الموالد، طال الصمت دقائق معدودة ومن حين لآخر يتخللهُ صوت ألعابِ هاتف الصغيرة حتى بدا الصمت انتصاره على هذا الضجيج.

أحس الرجل إحساسًا معنويًا لا يتكرر، من شدته أغمَض الرجل عينيه، كإحساس الأرق بعد النوم العميق المُجهد، تخلل الصمت صوت طَرَقَاتٍ على الباب ولا يسمع الرجل صوت الثلاثة ليجيبوا على الطارق، حتى أفاق من غفلته فوجد صوتًا ينادي:

الساعة التاسعة يا أبو أسماء.

نظر الرجل بتمعن فوجد عقارب الساعة قد دقت التاسعة.

نهض الرجل، أحضر ملابسه، فتح الباب، لم يجد صغيرته مكانها، كانت نائمة ، كانت كبيرتهُ تتحدث مع صديقتها عبر الهاتف، والزوجة كانت تمشط مطبخها آخر اليوم، تحسس الرجل البيت وأخذت يده تلتف على ذراع الباب وفتحه فوجد ابنه غارقًا وسط صفحات الطب، فابتسم وقال: أخبار الدكتور إيه؟

فتابع ابنه:

- لا تقلق يا والدي يتبقى مادتين وابنك هيكون دكتور رسمي.

**العلمانية والملوخية**

كثيراً لا يتموضع نقاش الأصدقاء نحو كرسي الهدوء، تبدأ الضحكات تتبعُها مقاطعات الألسنة مع تطاولات حركات الأيدي، تُعبر عن استياءٍ وعدم رضا، وصخب للأذن لما تسمعه.

يجلس محمد كعادته تاركًا شيشة أصدقائه، الذي ملّ من إعطائهم نصائح بالإقلاع عنها، يتصفح هاتفه بصمتٍ بوجه أملس لا يخلو من عدة شعيرات أسفل استقامة فمه المتبعثر منه أحيانًا ضحكات هادئة، عندما يرى صديقه محمد يقدُم من بعيد.

عادةً ما يَتنازعا حديث الصديقين في أمور الدين والدنيا، حتى يحتد بينهم الخلاف وينتهي إلى اللاشيء ثم يرمي كلاهما الآخر الاتهامات بقصر النضج، وضيق الفكر، والتحزب، والتعصب، والانتماء لٰمنظمات وحركات لا سبيل لها سوى المطامع الشخصية، والأهواء العاطفية.

كان يلتف ذاك الخلاف حول عنق المحمدين في ظاهره تسمى (اختلافٌ سياسي) ودائما يردد أصدقائهم بعد أن يطول انزعاجهم قول " اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية"، فلماذا تفسدان علينا

مزاجنا بمناقشَتكما الحادة! .
سلم "العلماني"على أصدقائه ومن بينهم شبيههُ "الإسلامي" كما أطلقوا عليهما أصدقائهما منذ عدة نقاشات مرّت بدون جدوى كما يظنون.
فالأول سُميَّ بالعلماني والآخر إسلامي.
نظر إليه صديقه العلماني ثم اهتزت رأسه يمينًا حتى استقرت أقصى اليسار.
وقال يتلهف الحديث
لا أعرف ما ماهية تلك الذقون المتناقضة أشكالاً وألوانًا وأقوالاً؟، البعض منهم يدعو إلى التطرف والمغالاة، ويشجع على التشدد، ويُكفر من يريد، ويحكم بإدخال الجنة والنار لمن يطيعه ويتبع أفكاره، أو يخالفه.
تسبب قليلاً من الماء في قطع شطره الأول من الحديث ثم أتبع يستكمل حديثه بثقةٍ وشموخ، وصوتٌ بدأ يرتفع قليلاً، والبعض الآخر يسبحُ في لاهوتٍ تعبُديّ، ما أشبه الدرويش الذي لا يريد بذاك الإنسان إلا الصلاة والصوم والتسبيح طيلة العام، وجهًا آخر للرهبنة ولكن بدين آخر، لا أعرف ما الفائدة منه في ألفِيتنا الثالثة هذه؟
ثم تابع دون مقاطعة، أصبح العرب والمسلمون أضحوكةَ العالم، بل كالدمية يحركونها كيفما شاءوا وأينما ذهبوا، والكتلة السياسية التي تتغطى بأفكارٍ دينية وزنها في الصراع العالمي يتعادل مع وزن ريشة تنفصل عن جسد دجاجة عجوز، بل في بعض المناطق ترجح كفة

ميزان الريشة.
أدرك محمد أنه قد حان وقت النزاع في مواضيع مختلفة تتكرر عادة، أغلق ضوء شاشةِ هاتفهِ، بيمناه تحديدًا بإبهامه، بينما كانت يُسراه تتحسس خصلات شعره الأسود المجعد، وكأن قد أصابه استياء أدى إلى نوعٍ ما من الجَرَبِ.
وضع هاتفه بهدوء أمامه على المنضدة، ثم قال مكررًا عدةَ مرات وهو يضحك بخفة: عندك حق، معك حق يا مُحمد، ولكن قبل أن أبدأ سرد النزاع معك أرفض أن تأخذني ذاكرتك إلى وادٍ يمتلأ بالأعداء.
صديقي أنت بلسان المتفقه ذكرت أن البعض والبعض، إذًا ليست المشكلة في الأفكار أي الإسلام كمعنى، بل في البعض الذين يحملون أفكارًا تشوه الإسلام .
وقبل أن يكمل "الإسلامي" كلماته الأولى، قاطعه الآخر بضحكات تقول:
كل الإسلاميين يحملون أفكارًا مشوهةً، لست معك بشأن هذا، فأفكار الإسلام بعضها غير منصفة لعدة قضايا، مثل: قضايا الحريات، والديمقراطيات، والمرأة، وغيرها كما أن الإسلام ينافي الحضارة والعلم في أشياء عديدة.
أخذت نفس الإسلامي تضمُر سرًا، أن النقاش اليوم سيطول بعض الشيء، ولكن لا مفر، ثم بدأ ينتقل يمينًا بعض الشيء ليكون بمقربة من أذن صاحبه، وظن أن لغة التقرب ستساعده في الإقناع .
صديقي سنناقش لاحقاً ما تقوله عن تنافي الإسلام مع الحريات

والمرأة، ولكن دعني الآن أكمل حديثي وإياك إن قاطعتني، -وهو يحذره- وأخذ يلوح بإبهامه كنوع من التهديد المضحك، ثم أتبع:
لا أتفق معك في ما قاطعتني به، الأفكار السليمة يحملها أنَاسٌ مشوهوا العقل والقلب، غالبًا ما يميلون نحو مطامع نفوسهم الشخصية، ولا يبالون بالمصلحة العامة، وتلك نفسٌ بشريةٌ تُخطئ وتصيب، عافية ومريضة، ذكية وخبيثة،
وتابع يمتنُ ذكائه:
ولكن يا صديقي و أنت شخصٌ أنا أعترف وأقدر ذكائك ومهارتك الفكرية،
بحبح الآخر قليلاً عندما سمع كلماتٍ تزيد من قُدسيته، وتثبت ثقته أمام نفسه، راح يبتسم ابتسامة المنتصر دون حرب.
_ أخبرني، برأيك لماذا العالم أجمع يُصر على لصق أي حادثٍ نفذه مسلم، حتى إن كان حادث سرقة في الطريق، على أن هذا الفعل وراءه أفكارًا وأيديولوجيات إسلامية، وليس له أبعاد نفسية هوائية، على العكس نسمع ونقرأ كل يوم عن حوادث سرقة، وعنف، وقتل، و اغتصاب من قبل أشخاص يحملون المسيحية واليهودية والبوذية، ولا نرى تلك الاتهامات موجهةً للدين إلا عندما يكون الدين اسمه الإسلام فقط؟.
وقبل أن يقاطعه الآخر قال المتحدث:
انتظر، لم أنتهي، وأجمع إجابتك بذهنك بعد انتهاء الطرح فتكمل أنت.
وتساءل باستنكار:

- ما هي ديانة الرؤساء الذين يهددون العالم كل يوم بضرب السلاح النووي للدول المجاورة؟
- ما هي ديانة رئيسة حكومة دولة (ميانمار) التي تصمُت عن قتل المسلمين كل يوم منذ عدة شهور مضت أو ربما سنوات؟
- الميليشيات المسلحة في أفريقيا الوسطى التي استولت على الحكم وذاقت المسلمين عذابًا، هل تعرف ديانتهم؟
- الصينيون الذين قتلوا مسلمي دولة تركستان سابقًا قبل انضمامها إلى الصين، أي ديانة هؤلاء يعتنقون؟

وأتساءل أيضًا:

- لماذا لا يتم إلصاق التهم لكلِ من تسبب في قتل ملايين المسلمين في العراق وأفغانستان، والبوسنة، وكوسوفو، ومالي، وبورما، وأفريقيا الوسطى، والهند، والصين، وتركيا، وبلادُ البلقان التي استولى عليها الاتحاد السوفيتي قبل أن يتصاعد كالرماد في محرقة الورق في تسعينيات القرن الماضي، لماذا لا تتم المحاسبة على الأساس الديني؟ الأشخاص البوذيين، والهندوسيين، والمسيحيين، واليهوديين لماذا لا تحاسب تلك الديانات على أفعال أبنائها؟

وأكمل:

وأنا بالفعل اعترف بالتطرفُ عند بعض الأشخاص والجماعات ولكن الإسلام بريءٌ منهم، كما كان العلمُ بريئًا من المسيحية المُحرفة في عصور استبدادها الوسطى، وأيضًا أحب أن أُنوه عن أسباب أخرى للتطرف، عندما ينتهي التعذيب بشتى أنواعه في الدول العربية والغربية، حينئذٍ ستقل الأعمال العدائية و أنت تعرف جيدًا

السجون المخفية في باطن الحُريات الظاهرة.
قاطعه صديقه، وكأن بقيَّ له دقيقةً واحدةً ويملُ من حديثي الزائد على مدارك أذنيه، وقال:
وإن كان لك حقٌ بعض الشيء فيما تقول، فإن الدول التي تتحدث عن عصورها الوسطى التي مُلئت بالاستبداد، تقدمت عندما تحررت شعوبهم من عبادة الدين المتمثل في رهبان الكنائس، ورجال الأعمال البرجوازيين، وبدأت الثورات وانتهى زمن الاستبداد، وجاء العقل بعد أن ذهبت الروح المتدروشة، وتربع العلم على عرشِ الثقافة والحضارة، ودُفن الجهل مكانه حيث كان يمكث.
قاطعه الرجل قائلاً: لا يا فتى، اسمعني
فرد وكأنه استاء من المقاطعة: اسمعني أنت، فأنا لم أقاطعك عند حديثك السابق،
وأكمل:
المقصد هنا أن الشعوب الغربية عاشت عصورها المظلمة عندما كان الحاكم يسمي الدين، فلمَ لا، في بلادنا العربية نتخذ العقل بدلاً من الدين، حيث كل إنسان له لاهوتُه الخاص به في دور العبادة التي يريدها، بدلاً من شيخٍ مُتطرف وآخر متدروش يتحكم ويحكم، ويتآمَر ويأمُر؟،
شعر الفتى للتو بضيقِ الأفق، وأنه يتحدث مع علماني أو ليبرالي هش ليس لديه المناورة الفكرية الصلبة، لأنه بحديثه يأخذه إلى استرجاع ما قرأه في كتاب المفكر والفيلسوف البوسني (علي عزت بيجوفيتش) والذي كان يناقش فيه نظرة الإسلام للدين والعلم

والروح والمادة والثقافة والحضارة، كان اسمه ( الإسلام بين الشرق والغرب)،الذي ألفه الكاتِب خصيصًا للرد على الفكر الشيوعي والغربي السائد بعد الثورات الغربية، سواءًا كانت على المستوى الشعبي أو الصناعي، بينما كان صديقه غارقٌ في حديثه معه بلا توقف .

بعد أن انتهى صديقه من نصف حديثه الثاني الذي لم يسمع الأول منه شيء سوى آخر كلمات، كانت تقول أن الدين هو السبب في الرجعية، .....إلخ ،

قال له بسخرية: هدِأ من روعك الآن وأكمل قهوتك، ربما لست بخير، - كنوع من السخرية التي يقبلها- فكلاهما تجمعهما صداقةٌ حميمةٌ قبل أي شيء. وتساءل: هل قرأت كتاب الإسلام بين الشرق والغرب؟

-لا لم أقرأه.

قطع الحديث صوتٌ صاخب يسدُ الأذن، إنه صوت أصدقائهم التافهين، فقد فاز صديقهم الرابع على الثالث في لعبة "الفيفا" التي يلعبونها على لاب توب الخامس الذي يقوم بدور المُشاهِد والشاهد عليهم بعض الوقت، وعندما استقر الوضع قال بتمهل: صديقي أنصحك بقراءته، فهو يناقش الأسئلة الفلسفية والوجودية، ويناقش أيضًا نظرة الإسلام للإنسان، والمرأة، والروح، والضمير، ويناقش قضايا عدة مثل: الفن، والعلم،... إلى آخره، مع الأخذ أنه لا يناقِش بالطريقة القرآنية البحتة التي لا تأتي لك مع اقتناع، فهو يناقش بكافة السبل.

وتابع: لم أناقشك فيما قلت مؤخرًا، لعل ذلك الكتاب يكون أبلغ مني في التفاهم معك ..
_أعدك أن أقرأه في أقرب وقت، ولكن يبدوا أن حديثنا قد اندثر منه الجوع مع قليلٍ من الصداع!
_لا عليك، ستصل البيتزا التي طلبنها منذ بداية جلستنا.
ولكن قبل أن تصل البيتزا، دعني أجري لك استفسارًا قد طرحته للكثير ولم ألقى ردًا يطمئن العقل، بل كانت ردودًا تافهة، أو متدروِشةً يا درويش، إن كان الإسلام نزل ليحكم الدين والدنيا وهو خير لكل البشر وهو الدين الصحيح و، و، و، و، لماذا لا يوجد حكمٌ إسلاميٌ يسود العالم؟
لماذا لا تنجح الجماعات والحركات الإسلامية في الوصول للحكم وتطبيقه في بلدٍ واحد وسط مئات بلدان العالم؟
لم نسمع الإسلاميين يتحدثون عن الدولة الصحيحة إلا في عهد الرسول وخلفائه الراشدين، بالله عليك ما أشبه قصص الدولة الإسلامية بقصص السندباد و الأساطير التي نحكيها لأطفالنا ليتعلموا منها الأخلاق الحميدة !.
لم يستطع الفتى الرد على آخر أسئلةِ صديقه، لقد داهمهُ الوقت، وهناك صوتٌ ما يناديه.
كان صوتُ أمِه لقد انتهت بالفعل، وقد أجاب الفتى أنه قادمٌ فهو يكتب آخر كلماتِ قصته القصيرة بعد أن انتهت أمه من عمل طاجن الملوخية الذي طالما انتظره الابن منذ ساعة ونصف، كانت مدة انتهاء نقاش العلمانية وطاجن الملوخية .

**٢٠٥٠**

_ما بك يا فتى ، أتعِبت؟
= نعم، لقد أجهدني السير.
صغيري في الثانية عشر من عمره وتعِب، فما حال العجوز الذي بلغ من العمر ستون عامًا؟، انهض لكي نُكمل رحلتنا، فهي طويلةٌ و شاقةٌ، وممتعة أيضًا، فهي رحلة التاريخ يا بُني.
تأكد الحفيد أن لا مفر من خطة جده، فبدأ يعبث بوجِهِه اليأس ،وقال بعدما التفت حوله كثيرًا ، ما اسم هذه المدينة يا جدي؟
_ إنها مدينة بغداد، وهنا ساحة التحرير.
= التحرير !، لِما سُميت بذاك الاسم ؟
_ طالما عُرفت تلك الساحة بالاضطرابات، والثورات ضد الاحتلال قديمًا وحديثًا، لذلك سميت بالتحرير.
= احتلال ! أي احتلال هذا؟
_ احتلال الأعداء.
= وهل الأعداء ما زالوا هنا؟
_ لا، إنهم طردوا حديثًا من هنا
= وقديمًا؟
_ قديمًا، دمروا البلاد والجيوش، وخرجوا هم بأنفسهم.

= من أخرجهم حديثًا؟
_ أخرجهم جيش الشعب.
= لا أفهم ماذا يعني جيش الشعب؟
_ يعني قوة وصوت الشعب .
= جدي، لا أفهم ماذا تقصد!
_ رُبما أنت جائع يا بُني
= نعم، أنا لم آكل شيئًا منذ أن غادرنا صباحًا.
_ تفضل يا بُني.
تلذذ الفتى الصغير طعام جده وقال:
= إنه رائع وشهي جدًا، هل معك مزيد من التمرات!
_ نعم، إنه التمرُ العراقي أجود أنواع التمور في العالم، ومعي منه المزيد حتى يموت جوعكَ قبل أن يحيى مرةً أُخرى.
فتبسم الصغير حتى انتهى وأكمل مناقشته قائلاً
= الآن ارتكز عقلي مرةً أخرى، حدثني عن الجيش والشعب والقوة والصوت!
_ الجيش العراقي يا ولدي كان أقوى الجيوش العربية وكانت الدول تهيب من قوته.
= كان ! وما الحال الآن؟
|_ الآن هو أقوى الجيوش العالمية، ولا يستطيع أحدٌ ردع قوته.
نظر الولد حوله وتوقف عن السير، فنظر الجد خلفه يتحسسه بنظراتِ عطفٍ وقال: ألا تفهم مرةً أأخر؟
= لا، يبدوا أن التمر لم يحل المشكلة.

تمهل قليلاً وسأروي لك القصة وأكمل: هو أقوى الجيوش قديمًا وحديثًا، ولكن بين القوتين ضعفٌ قوي، بات على البلدة وجيشها وشعبها، فأصبحت البلاد هشة، والحكومات المتعاقبة خاضعة، والشعوب ذليلة .

= من فعل هذا بهم؟

_ قلت لك الأعداء.

= ولكن الشعوب ذليلة، كيف؟

_ كانت ذليلة للعدو والنفس.

= ومن ذلك العدو التي تحدثت عنه ، قبل أكل التمور؟

_ العدو، هو النفس .

= من هو العدو يا جدي!

_ العدو هو النفس.

= من العدو؟

_العدو هو النفس.

= يبدوا أنه لا يوجد حل في الحديث معك أيها الشيخ.

_الحل ليس في الحديث معي ولكن يوجد حلٌ بكل تأكيد، أأدُلك عليه؟

= نعم، ما هو؟

_ أن تقرأ، - فانتبه الولد للحديث بعد أن مل وتاه سبيله- واتبع الجد:

أن تقرأ الماضي والحاضر وتكتُب عن المستقبل .

= وما السبيل لكلِ هذا؟.

_السبيل في البلدة الثانية التي سوف نزورها بعد بضعةِ ساعات
= وما هي البلدة ؟
_ ألا تنتظر عدة ساعات!.
فعاد تلهف الفتى للحديث وقال:
حسنًا، ولكن ألا تحدثني مرة أخرى عن القوة والضعف وكيف المبتغى إلى القوة؟
فتوقفت أقدَام العجوز وتشبث بيد صغيرهِ وقال:
_القوة مكنونة في إبراهيم .
= إبراهيم؟
_ إبراهيم عليه السلام.
= النبي إبراهيم عليه السلام، أعرفه جيدًا فهو قويٌّ الإيمان والصبر، هل تعرف عنه الكثير يا جدي؟
_ الكثير والكثير، دعني أسرد لك عنه _وتابع ينفعل صوتهِ حماسًا_:
هو النبي إبراهيم الذي حاجَّ النمرود وغلبه عندما قال له المغلوب أنا أُحيّ وأُميت، فقال له: [فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبُهِت الذي كفر] وأتبع:
عليه السلام، هو زوج السيدة سارة والسيدة هاجر، الأولى أتى بها إلى مصر، والثانية غادرت وحدها إلى بيت الله الحرام.
= غادرت وحدها؟
فانقطع حديث الغلام وتمتم عدة مرات ثم واصل بتفوه:
= لا ليست وحدها، بل معها إسماعيل .
فضحك الجد وتساءل ومن إسماعيل؟

= إسماعيل بن النبي إبراهيم، الذي بنى بيت الله مع والده والذي قال [يا أبتِ افعل ما تُأمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين]، عندما جاء له والده وأخبره بالرؤيا التي شاهد فيها أنه يذبحه.
فتحسس العجوز شعر حفيده وتابع السير وقال:
_ من أين لك بتلك القصص يا مثقف؟
= من كتب التربية الإسلامية في المدرسة ومن القرآن الكريم، أأروي لك حكاية سيدنا نوح عليه السلام؟.
_ تفضل
= كان رجلٌ قوي مؤمنٌ يدعو قومه للتوحيد، ولكنه كان صبورًا، أتدري يا جدي أنه استمر قرابة الألف عام ينادي قومه بالإيمان! .
_ أسرع يا ولدي، لقد تأخرنا.
= كانوا يسخرون منه عندما كان يصنع الفلك في صحراءٍ جرداء
_ أعرف، ولكن أسرع.
= كان ابنه مع القوم الكافرين، وكانت امرأته من الغابرين.
_أعرِف، ولكن يجب أن نسافر الآن إلى البلدة الثانية، وفي القطار نُكمل الحكايات.
=بلد القراءة والمعرفة، القطار!
_نعم، نعم، القطار، في خلال ساعتين سنصل فالآن يا عزيزي لا يوجد حدود بين الدول العربية، فالعرب أصبحوا كالجسد الواحد والروح الواحدة.

=إنها مبانٍ ضخمة للغاية، يا له من شيءٍ معماري يُشبه الخيال، إنه

مبنى ضخم، ألوانه جميلة، طرازهِ رفيع إنه محصن للغاية، هل هو قلعة حربٍ يا جدي ؟
_إنها قلعةٌ دمشق يا ولدي، يرجع تاريخها إلى الحروب ضد الصليبيين وقد قامت الحكومات في ترميمها وتطويرها في عصورٍ قديمة، كالعصرِ الأيوبي، والمملوكي، وآخر تلك الإصلاحات منذ ١٠سنوات، كما شهدت حروبًا عدة للقائد صلاح الدين الأيوبي.
=نعم أعرف هذا القائد، درسُت شخصيته، إنه رجلٌ شجاعٌ وعظيم، ولكن يا جدي أريد المعرفة، أين القراءة والكتب؟
_جيد أنك تبحث عن العلم، سنصل إليه فقط واصل السير.
=لقد سئمت السير يا جدي مجددًا.
_ولماذا تكره العلم يا ولدي؟
=لم أقل ذلك، ولكني تعبت من السير، وأحب العلم كثيرًا.
_يا صغيري الاثنان يكملان بعضهما البعض، لن تصل إلى العلم بدون سير.
=جدي، هل ترى!
إن الناس يحملون كتبًا كبيرةً في أيديهم، والبعض يقرأ وهو يمشي، من أين أتوا بها؟
توقف الجد وقال لفتاه:
_انظر، أتوا بها من ذلك المبنى.
أخذ الفتى يتفحص جيدًا، ويحدق عيناه أكثر فأكثر حتى اعتلى نظره أعلى المبنى فوجد قبةً فقال:
=إنها مئذنة جميلةٌ جدًا، إنه مسجد كبير ورائع.

_فرد الجد: من هنا يأتي العلم .
=لا إنه للصلاة!
_المسجد الأموي للصلاة والعلم، قد تم بناءُه بشكلٍ جيدٍ مُنذُ عشر سنوات.
=عشر سنواتٍ فقط !، ظننتُ أنه أقدم من القلعة.
_يا عزيزي إنه أقدم من القلعة بسنوات كثيرة، يرجع بناءه إلى الخلافة الأموية، ولكن منذ فترةٍ ليست ببعيدة دُمر المسجد تدميرًا
= كيف؟
_في عام ٢٠١٣، قبل أن تأتي إلى الدنيا، أصبح العالمُ العربيّ كله على صوت قذائفٍ تهدمُ الأحياءَ والبيوت والمعمار، وكان من بينهم هذا المسجد.
= حقًا، من هذا العدو الذي فعل ذلك؟
فسكت الجَدِ
=من هذا العدو الخارجي الذي دمر البلاد؟
فضحك الجَد، وقال:
لا عليك الآن إلا بالعلم، فقط أكمل السير لندخل المسجد ونصلي ونقرأ.
وبعد أن صلى الفتى وراء جَدِه أربع ركعات ذهبا الاثنان حيث العلم الوفير،
آلافُ الكتب والمجلدات، من قرأ كل هذا ؟ وسؤالٌ آخر، من ألف كل هذا؟
فابتسم الولد وبدأ يتفقد صفحات الكتب وأسمائها ومؤلفيها،

ويسأل، والجَد يجيبُ على حد علمه.
ومرّ ما يقرُب من ساعتين حتى كف الاثنان عن السؤال والجواب، حتى استراح الجَدِ وقال:
_هيا لنكمل رحلتنا يا فتى.
=سنترك دِمشق؟
_نعم.
=إلى أين؟
_تمهل، ولكن سوف نُسافر بالقطار أيضًا.
=هل هناك العلم والمعرفة، أم الصلاة و التمور؟
غشيت السكينة على فؤاد الرجل عندما سمع كلمات رفيقه وقال:
_هناك كل شيء يا صديقي ،هناك كل شيء.
_ ما رأيك يا فتى من أي باب ندخل المدينة؟
=وهل للمدينة أبواب؟
_نعم.
=لماذا؟
_لأن المدينة يحيط بها سورٌعظيمٌ، لكي يحميها من الأعداء.
=وهل كان هُنا أعداءٌ أيضًا!
_ يا فتى إنها القدس، إن الأعداءَ هنا منذ مئات السنين، بل إنهُم استقروا هنا وكانوا يزعمون أن هذه المدينة هي وطنهم، وقد دمروا وقتلوا أصحاب المدينة والوطن الأصليين، ولكن أجبني الآن، أتُحب أن تدخل المدينة من أي باب؟.
= يا جدي أطلعني على أسمائهم، وأنا أختار.

_ (باب العامود، باب المغاربة، باب الخليل، باب الأسباط، باب الجديد، باب سيدنا داود).
=سيدنا داود النبي!
_نعم.
=إذن، فلندخل المدينة من هذا الباب.
_إذَن، فلنتوجه يسارًا، فهو من الناحية الغربية لسور البلدة.
وعند دخولهم من ذاك الباب اطلعت أعينهم على زهرة المدائن كما تسمى، بدأ الاثنان تجول نظراتهم في كل مكان، حتى وقعت أعين الفتى على حائطٍ كبير مرسومٌ عليه رجلٌ يُمسك بيده مصحفًا، والآخر أمامه يمسكُ بندقيةً سوداء، يرتدي زيًا لونه أخضر قاتم، يعلو رأسه قبعة عليها مثلثات من الخطوط الزرقاء والبيضاء.
فقال وهو يهزُ يد جَدِه لينظُر إليه:
=هل الصورة تعبر عن صاحب المدينة والعدو؟ .
_ نعم، يبدوا أنك فهمت كل شيء يا صاحب العقل.
= ولكن،هل رأى العدو تلك الصورة؟
_الآن لم يعُد يراها فقد طرِد العدو منذ سبعةِ أعوام، ولكنه مكث عشرات السنين يراها كل يوم في واقع احتلاله الأسود، لقد ضحى أبناء هذا الوطن بكل ما يملِكون.
حتى جاءت إليهما فتاةٌ وقاطعتهُما وهي تمدُ يدها بصينيةٍ عليها شرائح يتصاعد منها دخان ساخن وقالت:
"تفضلا أيها الزائرون في وطنكم العربي ، يبدوا أنكما جائعين"!
نظر إليها الفتى في سرور وأخذ منها ما تحمِله وتفحصه جيدًا وقال:

إن رائحته جميلة، ولكن ما هذا؟
فأجابت: إنها وجبةٌ الجريشَة، تشتهر في الأعراس وكانت عبارةً عن قمحٍ مطحون، ويُغلى على النار بعد أن تُوضع فيه قطعُ اللحم المطهية باحمرار بسيط. وتركتهم الفتاة وذهبت.
= جدي، لقد تعبت بالفعل، ألا نستريح قليلاً؟
_الآن سوف نذهب إلى المسجد لكي نصلي هناك، وننام قليلاً ثم نعاود إلى حيث بدأنا تلك الرحلة.
= أي مسجد!
_المسجد الأقصى.
= أعرفه، الذي بدأ الرسول رحلة الإسراء والمعراج من عنده.
_أحسنت، فالمسجِد هذا له عند المسلمين قدسية خاصة.
=أعرف، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.
_ولذلك حُرر من أيدي الأعداء.
=وهل من وطن آخر لنا محتل؟
_اسمع يا بُني، لا تحسب الاحتلال بالزمان والمكان حتى لا يضطرب ذهنك، ولكن عندما يكون شعار العرب الوحدة، يغادر الاحتلال، كما سوف نغادر نحن الآن ونعود إلى بلدنا.
=أيها الجد، هل وطنُنا محتل!
_قلت لك الإجابة من قبل كيف تعرف الاحتلال من دونه .
= بماذا تشتهر بلدنا من المعالم!
فضحك الجَدُ مليًا وقال: تشتهر بالصرحِ العظيم الذي نسكُن بجواره،وأكمل:

تشتهر بالأزهر الشريف الذي يأتي مسلمي العالم أجمع لتلقِي العلم بداخله.
ثم نهض الفتى يشُد في كتف العجوز، ويقول هيا، لقد تأخرنا على القطار ويجب أن نعود من حيث جئنا.

**الغرام الروسي الأمريكي**

صرحٌ عالمي، و ناطِحاتُ سماءٍ مكونة من ٢٠ طابق مطليين باللون الأبيض والأحمر، بين الطبقة العاشرة والثانية عشر لافتة كبيرة مكونة من حرفين هما( w . c)، يعنيان الشركة العالمية.
يعمل بها جميع البشر مع اختلاف الجنسيات، والأعراق والأديان.

ألمان، وإنجليز، وفرنسيين، وآخرين قوقازيين "صينيين"، وإيرانيين، وأترَاك، وسعوديين، الجميع يتعايش مع الآخر في حوارٍ دائم، تتميز الشركة بالعمالة الوفيرة من الجنسية السورية في الطابق الأول، حيث وجود مصنع كبير لإنتاج الكيماويات والمبيدات.
يترأس الشركة شخصان ذا خبرةٍ عاليةٍ في الإدارة والتخطيط.
الأول يدعى"جون"، أمريكي الجنسية، طويل القامة، نقيُّ البشرة، أسمر اللون، فمه يستقيم نوعًا ما، غالبًا ابتسامته لا تفارقه، يتميز بالذكاء الافتراضي، ويحترف لغة الجسد في خطاباته المليئة بحركات الأيدي، تتغير ملامح وجه بسرعة البرق في الوقت والكيفية التي يريدها.
أما القطب الثاني المترئس للشركة من مواليد القطب الثاني المترئس للعالم روسية الموطن، تدعي السيدة "ماركي لافروف"، توصف بأنها امرأة قويةٌ، فاتنة، من شدة جمالها يُعجب بها من نظر إليها ويحبها من نَظرت إليهِ، عينيها اللتين تبدوان أنهما تميلان إلى الأزرق الباهت، مُقومة الأنف بعض الشيء تشبه الفرنسيات في عودهم، ولكنها تتحول إلى آلة حرب عندما تختلف معها غريمها.
كان القطبان دائماً على خلاف واختلاف بشأن سياسات إدارة العمل الداخلية ولاسيما الخارجية بشأن الطابق الأول، أي مصنع الكيماويات والمبيدات.
الجميع يتذكر اجتماع الذي فارقه سبعة أيام ماضية، كان يجلس على طاولة الحوار بعض من موظفي الشركة، نواب الشركة، ورئيس قسم المالية، والمدير التنفيذي، وبعض المهندسين والمخططين

لاستراتيجيات العمل المستقبلي، حيث اختلف الرئيسان على قضيتهم الأساسية، (حقوق العمال السوريين) من حيث المبدأ الإنساني وحق الإجازات، وتقليل عدد ساعات العمل، وحرية الإبداع، والتفكير خارج نطاق الصندوق، وتطوير الأفكار التي يطرحها الأول بشدة ويتمسك بها، بينما علقت الثانية: أن لابد لعمال الشركة الكادحين أو كما يقال عنهم في بلدها طبقة "البروليتاريا" طبقًا لمبادئ ثورة الوطن البلشفية، أن يتقاسموا أرباح الشركة بامتلاكهم نسبة من الأسهم مع مالكي الشركة، لاعتقادها وإيمانها بالمساواة بين كل طبقات المجتمع بلا تفريق ولا فرقة، كانت تُظهِرُ دائمًا إيمانها بحقهم في الحياة الكريمة وأنهم بناة الصناعة.

وكان في خلافهما حدةً بالغة، حيث تعالى صوت الروسية على الثاني بلهجةٍ تصل إلى التهديد التي مكنتها في رفع يدها وتوجيه إبهامها في وجه الأمريكي وقالت: أنها ستنسحب من الشراكة إن لم يتم تفعيل نسبة ولو قليلة للعمال، وأن هذا حقهم المهدر، والذي لن تسمح ولن ترضى باستكمال إهداره من قبل إدارته التي كانت تلمح دائمًا أنها رأسمالية عفنة تمتص دماء الكادحين وتسرق جهودهم وتسخر عقولهم وأجسادهم من أجل رفعتها وسموها.

بينما استمر الرجل في ثباته وحث الجميع على تهدئة الوضع وحدث أفراد الشركة قائلاً:

إن حق العمال في الحرية وسبيل الوصول بهم إلى الاستقرار الإنساني هو الخطوة الأولى التي يجب مراعاتها قبل أي شيء آخر، متجاهلاً

حقهم المادي الذي قال عنه من قبل على إحدى الطاولات أنه، لا يهم وليس بالضرورة.
انتهى اليوم دون جدوى من ساعاته الأربعة والعشرون.
وقبل أن ينتهي تسلل الحوار أسفل عند أصحاب القضية في طابقِهِم، "فقال أحدهم: سنظل كما نحن لا نحصل على حقوقنا سواء الإنسانية التي ناقشها الأول، أو المادية التي تصارع عليها الأخر. ولكن يستحقان منا كل احترامٍ وتقدير، فرد عليه آخر: بأنه ملَ من طاولاتهم دون أي فائدة أو أدنى استقرار على أرض الواقع وتابع مستطردًا: لا أعلم هُما يكافحان من أجل مصالحهم أم مصالحنا، باختلاف وجهات نظرهم المتعاكسة، يهدد كلاً منهما الآخر من أجل حقوقنا، ولكن متى ينتهي الصراع؟ ، قد سئمنا وتعبنا نعمل بلا فائدة ولا استقرار منذ سنوات مضت".
كانت تلك الكلمات تمتزج بها مشاعر حماسية عبرت عن ملامح غير مطمئنة لإحدى وجوه العمال السوريين.
هناك في مكان مغلق دار الحديث كالآتي

- تمتلكين أسلحة نووية تفتك من يقف أمامها، يقف لك من يعرفك ومن يجهلك يتمنى أن يقف بجانبك، كم قوية أنت لا تعرفي سبيل المزاح من أين ؟ في جمالك حتى قوة تهُبُ من داخلك بنظرات حادة أو ربما بكلمات استهزائية مفوهة ترهب من تُوجه إليه، كم أحبك، سر بقاء حبنا هو السر الذي يدور بيننا أمام أعين الناس، ولا ينجلي إلا بين أعيننا وضمائرنا على الطاولات الغرامية

المغلقة. المصالح لا تتخاصم بيننا كما يظنون، ينظرون إلينا وكأننا ولدنا لنختلف ونتصارع، أغبياء لا يعلمون ولا يسعون للعلم.
توقف حديثه عند ابتسامتها ثم قالت له:
- أنت تملك الثقافة والحضارة، وبينهما فُارقٌ لا يعرفه سوايّ، تتحدث عن عيني وإعجابك الخفي بها، ولا تشعر بي عندما أراك، يكاد قلبي أن يصبح هشًا ضعيفًا لا يستطيع حتى أن يضرب دقاته عندما يتهشم القرب منك، عيني التي لا ينشغل عقلك عنها، ترتب كل يوم كيف ترى ابتسامتك ولا تعجب بها، أنا أقوى منك أمامهم، أما أمامك وحدك فلا حولَ لي إلا بلغة جسدك في كلماتك التي تهمس في أذني لحظة وراء لحظة "جون" ،كم أحبك! .
فرد الرجل ضاحكًا:
ما يضحكني نظرات الجالسين لنا من المديرين وكبار موظفي الشركة، حتى هم يظنون أننا نعمل بجدٍ من أجل التوصل لاتفاق يحمي حقوق أصحاب الطابق الأول وينقذهم من الكد الذي يلاقونه في العمل، ما أجمل ردود فعلهم القلقة عندما تتعالى الأصوات بنغمات تهديدِية بقطع العلاقات وفض الشراكة بيننا، ساذجي التفكير والتخطيط، لا يدركون كم المصالح المشتركة بيننا وأن جميع الشركات في قبضتنا، حتى الشركات ذوات الجنسيات الأجنبية الأخرى نتحكم في سياساتها عن بعد عن طريق عملائنا، أو الضغط بقطع المساعدات والعلاقات التجارية التي تدور بيننا وبينهم.
فتابعت المرأة وكأنها تتفوه بقلم أديب ساخر:

- حبيبي جون، ذكي بلا منتهى، يعرف متى وأين وكيف؟ تعرف!

حتى السوريين يظنون بي خيرًا، يعتقدون بلوغ حقهم عن طريقي، يلتمسون العفو من لون عيني الأزرق، لا يعرفون أنني في بعض الأحيان كدبٍ أسودٍ يأكل من يقف أمام مصالحه، ألم يحكي لهم أسلافهم، ربما لا يهم.

جاء لي مبعوثهُم، أو العامل الأكبر لدينا، يهمس لي في شكر تخلل منه الجزل عن الوقوف بجانبهم أمام رأسمالية "جون" التي لا ترحم أحد، يطلب مني أن يبقى في منصب العامل الأكبر مدةً أخرى، نظرًا للاضطرابات الموجودة حاليا في الصف السوري وأن العمال جميعا ليسوا على مطلب واحد فمنهم من يميل ناحية نظريات جون الأمريكي، ومنهم الثابت على مطالب أخرى تبتعد كل البعد عن زاوية لافروف أو جون.

يقسم لي، إن استمر فسوف يحقق لهم الاستقرار والوحدة بالوقوف ورائي ضد هيمنة القطب الأول للشركة، ياله من عاملٍ ساذجٍ أبله، وجوده من عدمه بيدي، ولكن له جدوى يساعدنا، حتى إن عجز عن المساعدة فليذهب هو وسذاجته إلى قوانين وأعراف دولية وضعناها من قبل، لأمثاله، يحاكم من أجل اختراقها وكسرها والتعدي عليها.

فقاطعها بتدلل:

- حبيبتي، اسمحي لي، هم ساذجين ولكن عِلمت مؤخرًا أن البعض من العمال لا يميلون لمطالبنا نحن الاثنين، وأن أحدهم يقول

أن لا فائدة من اجتماعاتنا ومناقشتها طرق وسبل الحل، فلذلك الحذر شيءٌ جيدٌ ومطلوبٌ منا الانتباه له والعمل به، وآخر قد سمعت أنه قال أننا نتلاعب بِمصالحهم ومستقبلهم ولا نحرص على الوصول بحلول تؤدي للاستقرار.

فما رأيك سيدتي "لافروف"؟

فأجابت:

- حبيبي معك حق، ولكن وإن قالوا فهم قلةٌ ضعيفةٌ سهل القضاء عليها كالخبز المبلل بين أضراس الدب والأسد، ألم تريّ قادة المصانع والشركات النامية وهم يستعبدونَ عمالِهم، نحن رحماءُ بهم، فلا تقلق.

بينما كانت يد لافروف اليمنى تقترب بجرأة من أصابع جون تتشبث بها، ثم تأخذ شهيقًا عميقًا بطيء، وزفيرًا أسرع، و تلمع عينيها ليستعد فمها بالحديث قائلا بصوت رقيق كسيمفونية رقيقة: ألم نكف عن الحديث بشأنهم!، الآن وحدنا وموعد الاجتماع القادم بعد يومين، فحديثُنا القليل الذي لا يسمعه غيري وغيرك لم ينفذ بعد!.

فأتبع:

- حبيبتي لافروف، قليلاً من الوقت، مزيدًا من المشاعر، تجمعُني بك بلا موعد، دُمتِ لي للأبد رفيقةً، وصديقةً، وحبيبة، دُمتِ فأنا ضعيفٌ بدونك، وأقوى بوجودك، ولا يفرقنا إلا المفرقون.

**زنزانة الوحدة العربية**

لا يتذكر أي شيء ولا يرى سوى ضبابٌ أسودٌ على عينيه التي تعتصم بنوع ما من الأقمشة الخشنة التي كادت أن تنفجر رأسه منها، ولكنه بنسبة ليست كبيرة ميز أن صوت اللهجة تبدوا مصرية، وأعتقد بعض الشيء أن ديانة الإسلام تعتقنهُ.

أخذت ركبتيه تلامس الأرض وهي ترتعش بطشًا، ومن وراءه رجلٌ يُمسك به بعد أن طلب منه أن يتكلم في نطاق الأسئلة التي توجه له من قِبَل شخصٍ ما.
ربما يخاف منه الكثيرون وهو في تعداد الخائفين، وغالبًا أنه يكذب، فهو في مقدمة الخائفين.

ربما لكنته التي حدَثهُ بها ليست مصرية، يبدوا أنه رجلٌ عربي.

كانت الأسئلة قليلة وقصيرة.

- ما اسمك وما اسم بلدك ؟
- كانت إجابته بصوتٍ متقطع ينتابه شيء من الذبذبة ،أنا مصري.
- لأي الجماعات والمنظمات الإرهابية التي أشاعت الفوضى في بلدك والبلدان الأخرى باسم الثورة ،تنتمي؟
- اندثر الخوف منه وقال: لا أنتمي لأحد، أنا مصري.
- أريد منك أن تقول لنا ما هو انتمائك، وتسرد لنا ما الأحداث التي مررت بها منذ عام ٢٠١١ إلى الآن؟
- صدقني لا أتذكر أي شيء سوى أنني مصري.

انتهى حديث التحقيق بارتعاش جسده يقابله ضحكات عالية، ليبدأ المتحقق معه في حديثٍ آخر مختلف، و مسلي بعض الشيء، ولكن برؤيةٍ ضبابيةٍ سوداء لم تتغير عن سابقتها.

دخل المرتجل إلى أرضية من البلاط اللزج الذي يلمس قدميه الحافيتين، بالتأكيد إنها غرفةٌ يحيط بها أربعة جدرانٍ وقضبان، لأنه سمع صوت بابٍ يُفتح ويغلق بواسطة من كان بصحبته.

جلس مكانه حتى لا يصطدم بجدارٍ يُخيفُه ويزيد من كيلوجرامات

الرعب التي أثقلت جسده الخفيف من شدة الجوع والعطش، ولكن كان الرعب يقدُم عليه لا محالة.

كانت صوت أنفاسه خائفة، ونبضات قلبه تدق، وزفيرٌ وشهيق يتصارعان من أجل البقاء وكان بينهما سباق عدائي لا ينتهي، بدأ المرتجف يرتجل أكثر، يسأل نفسه سرًا هل من أحدٍ هنا؟
وخوفه يرفض أن يجيب أو يسمع صوتًا غيره.

حتى سمع أصوات تختلف في تعدادها ربما ثلاثة أصوات أو أربعة، كان الأول يتساءل في شغف:

- من هون؟ نحن لا نراك، هل ترانا أنت؟ من وين أنت؟

أما عن الثاني فتابع الأول:

- لا نراك خي، ها، بدك شايفنا خي ولا لا؟ واستاء من صمته وقال بصوتٍ يعلو المنخفض:

- رد يا زلمة.

بينما أكمل الثالث:

- بدك ترد علينا، إن كنت ترانا، حدثنا زي ما نحدثك يا ملعون.

فاطمئن السجين الجديد بعض الشيء وأجاب:

- لا أستطيع رؤيتكم فعيناي معتصمين،
- وتابع: أصواتكم غريبة، من أي بلد أنتم، وما أسماءكم؟

رد صوتٌ منهم يكاد لا يعرفه وهو يضحك ويقول:

- أنا رقم ثلاثة، يمني، لا تخف، جئت إلى هنا منذ وقت لا أعرف إن كان طويلا أم قصيرًا، عندما شنت الحروب في بلادنا وانقسمت اليمن ولا تسألني عن شيء آخر، وتابع يردد بضعة مرات:

- لا أتذكر شيئًا آخر.

- تابع المصري في صمتٍ كلام زميله اليمني وبدأ التكلم فقاطعه الرجل على ما يبدوا أنه الثاني وقال:

- خي أني رقم واحد قبل أن أكون سوري، جئت إلى هون، لا أعرف متى بالتحديد، كل اللي ما أتذكره صورة زعيم وقائد ورئيس لا أتذكر اسمه، ولكني كنت أمزق صورته بإحدى الساحات التي كانت تصخُب بالتجمعات البشرية، اعذرني خي، قد رحلت الذكريات كما رحل النور من عيني.

بدأ فم الشاب يتسع قليلاً يبدي استعداده للحديث، وبدأ بالحديث معهم فقال:

- وما الذي سيحدث لنا الآن ومتي نرجع إلى أوطاننا؟

فقاطعه بغلظة صوت الرجل الثالث الذي لم يسمع صوته سوى مرةً واحدة، ومن المؤكد أنه صاحبُ الرقم الثاني، وقال:

- أنا معكم "ليش نسيتوني"، من أنتم؟

أنا رقم اثنين، ليبي، ولا أعرف سوى جملةً واحدة وظل يكررها

"تعيش ليبيا حرة أبية"، وظل يكرر أيضًا:
- من أنت؟ من أنت؟ من أنت؟

فرد المتقاطع دائمًا وقال بصوت مرتفع:
- أنا رقم أربعة، مصري، ولا أتذكر سوى شيئًا واحدًا سيحدث في المستقبل، اسمعوني جيدًا.
فغشي الصمت على المكان إلا من صوت صنبور مياه بدا وكأنه تتساقط منه قطرات متقاطعة في صوتها، ومكث الجميع في صمتٍ وشغف، ربما ما يقوله يجدي نفعًا لهم ويوضح لهم شيئًا ما، وبدأت أذهانهم تبطُن أن هذا المصري ربما يعرف أين هم الآن؟ أو معلومة قد تحدد مصيرهُم.

استمر صوت المصري يرتفع في كلماته كلمة وراء الأخرى قائلاً:
- ما سيحدث أيها العرَب أنه سوف يدخل علينا في المستقبل، ولا أعرف متى؟ رجلٌ من المؤكد أنه سيكون رقمه خمسة قبل أن يكون عراقي أو غالبًا تونسيّ.

- وأتبع يا أيها الجمع رددوا ورائي
- ورددوا بصوتٍ مشتتٍ مرتفع: "تعيش الوحدة العربية" ثلاث مرات.

**البورمي بألف دولار**

الموت يحيط بنا، والعبودية قيدٌ لنا ولا أعرف الجريمة، ربما لا أرى الذنب الذي ولدنا به، لا نستحق الحياة".

نسمع تلك الكلمات عندما تتعثر السكين في قطع أعناقنا المقيدة بسلاسل حديدية سوداء، وأخرى رمادية تشبه لون رفاتنا بعد الحرق بدقائق معدودةٍ بخسةٍ مثلنا.

ها هو يمسك بيده اليمنى فأسه جيدًا لكي يستمر في زرع حقله لجلب مزيدٍ من الحياة المكونة من الملابس وقطع الأكل وأكواب وكؤوس الشراب، ماذا نفعل بهؤلاء الحيوانات؟

"كانوا يريدون قتلنا، هؤلاء الخمسة، نُجردهم من ملابسهم، نصلبهُم، نَنهال عليهم طعنًا بالسكين حتى تتقطع أشلائهم، حتى تنتهي حياتهم البائسة على أيدينا وبالنيران نطهر الوجود من رفاتهم الحقيرة".

كانت تلك الجمل يكررها البوذيون باختلاف أشكالها ومفرداتها.

مرت سنواتٌ على ذلك الحال المشؤوم الذي لا مفر منه إلا بالموت، وهل يعقل أن لا فرار من الموت إلا بالموت، حالٌ لا يعرفه سوى القليل.

وهنا يسرد "يوسف البنغالي" قصته كما يُسمى

تعرضت بلدته للاعتداء، وأُحرقت معظم مساكن ومحلات قريته، نعم إنها (راخين) وفي رواية أخرى(أراكان)، قُتل أعمامه الأربعة رميًا

بالرصاص أمام عينه ولم يستطِع سوى الاختباء بعيدًا عن سيوفهم التي مزقت جسد أمه في اليوم التالي لهذا الحادث.

أباه، يظن أنه داخل معتقلات (ميانمار) بعد أن داهمت قوات الجيش بيته منذ أسبوعين وأخذته، ولا يُعرف مكانه إلى الآن.

والآن حان وقت رحلته إلى العبودية في قاربٍ صغيرٍ بلا شراع، ولكنه يعرف الطريق، ينقل قُرابة أحد عشر رجلاً و امرأتين وثلاثةُ أطفال.

هاجر وبرفقته ابن عمه إدريس الذي يُنادى في قريتهم بإدريس "البنغالي"، ليصبح تعداد القارب ثلاثة عشر من الرجال.

كان إدريس يبكي دائمًا، شديد القلق، لم يستطع تحمل فقدان أحبابه أمام عينيه، حيث قُتلت نصف عائلته وسُجن النصف الآخر، ولا يملك من عائلته إلا أخوانِ صغيرا السن، لا أحد قد برهن على قتلهم أو سجنهم فقد اختُطِفُوا ولم نستطع العثور عليهم.

كان الموج كالبركان في ارتفاعه والرياح أوشكت على العصف بهم وبقارِبهم الذي يُهاجر بهم بلا رجعة، كان المهاجرون طيلة رحلتهم يناجوا الله أن يوصلهم آمنين سالمين، وقد استجاب الله لدعائهم، ها هم على بُعد أمتارٍ قليلةٍ للوصول إلى الشاطئ.

كان هنالك أناسٌ كثيرٌ في الانتظار، قد تدفق الأمل لقلبيّ يوسف ورفيقه، كما تدفق الملح على رمال الشاطئ.

كان إدريس يناجي في صوتٍ تنعزلُ عنه كل نبرات الاستعباد والمشقة، وتسكنه آمال النجاة، ويداه مرفوعتان للسماء يقول:

الحمد لله، الحمد لله حمدًا كثيرًا يا يوسف.

غادر المُهاجرون القارب عند وصوله الشاطئ، ليجدوا أُناسٌ بشرتهم غير بشرتهم، إنهم من الجنس الأبيض، يتخللهم رجالٌ سُودٌ قليلون ممن يشبهونهم، كلاهما في استقبالنا،

بصوتٍ مرتفعٍ تشتدُ غلظته يُحدثهم أحدهم، كان رجلاً طويل القامة، مجعد الوجه وكأن شفتاه لم تبتسم أبدًا:

- ما الذي أتى بكم إلى هنا؟

رددوا بصوتٍ واحدٍ مرتفع وقد تشتت الارتفاع: جئنا فرارًا من القتل، نحن من (ميانمار)، لقد قتلوا أهلنا ودمروا بيوتنا وحرقوا حقولنا.

رد رجلٌ تايلانديٌ كبيرٌ يقف بينهم وكأنه الرجل الثاني بعد الأول الذي حدثنا يتساءل:

- هل جميعكم مسلمون؟

فأجبت يوسف بصوت يغلبه التعب والقلق:

- نعم جميعنا مسلمون.

فصمت الرجل، وقال الرجل صاحب الوجه المجعد بصوت عالي يعبر عنه إبهام اليد اليمنى بلغة يتخللها الأمر والحذر: انتبهوا إليّ أيها البورمييون، اسمعوا كلامنا ونفذوا ما نطلبه منكم وإلا رجعتم إلى بلادكم حيث القتل والدمار، أنتم الآن في تايلاند.

ولا يدري أحد، إذ استلقي الجميع صندوق شاحنة نقل تحملهم يجهلُ إلى أين، ولكنهم عرفوا بعد ساعة ونصف.

وصلوا إلى مكان فسيح تستطيل أرضه المقسمة إلى محلات واسعة، بها الكثير من الناس باختلاف ألوانهم وأجناسهم.

ثم أمرهم ذاك الرجل أن يصطفوا بطابور طويل، كان الرجال أولاً والأطفال مؤخرًا، قبلهم النساء في المنتصف، وهم الآن يبحثون لهم عن عمل ومسكنٍ يليق بهم.

انتظروا ما يقرب العشر دقائق، ثم تغيرت صفوفهم، وقفوا جميعًا ولكن هذه المرة، الأطفال والنساء والرجال كل على حِده، ولا ينظر كلاهم إلى الآخر، ثم التفت إليهم "مستر باولو" وقد سمعوا أحدهم يكرر الاسم، وطلب مهم بصوتٍ غليظ ينبعث منه نبرة تهديد أن يخلعوا ملابسهم بالكامل وان يقفوا عرايا لكي يتفقدهم صاحب العمل!

لم يفكروا ولو للحظة، ولم يروا أنفسهم إلا عرايا كما خلقهم الله وخرجوا من أرحام أمهاتهم، ثم رجعوا إلى الاصطفاف مرةً أخرى، إذ دخل عليهم رجلٌ يلبس بدلة سوداء، وقبعةً بيضاء، يشبك في مرفقه امرأةٌ متكبرةٌ لترى النساء، وكأنهما من طبقة النبلاء، التي ظننت أنها انتهت منذ قرون.

تفقد الرجل أجسادهم جميعا ثم تساءل إن كانوا باستطاعتهم العمل، وأن ليس بأحدٍ فيهم عيبٌ خلقيّ، ثم تابع الفحص لمدة لا تقل عن ساعة دون الانتباه إلى الوجوه.

في النهاية قرر السيد "أكس" شراء ثمانية شباب من ضمنهم يوسف وإدريس ابن عمه، وترك ثلاثة رجال لكبر سنهم بعد أن تحايل عليه مستر باولو ليأخذهم بنصف ثمن بيع الشباب بخمسمائة دولار فقط!

فأبى مستر "إكس" هذا العرض.

وعلى العكس قررت كريمته "جوليانا" أن تأخذ امرأتين والبنات الأربع الصغريات ، بعد أن توسلت لها المرأتان وانخفضت رؤوسهما إلى أقدامها راجيتان ألا تترك البنات فوافقت، فهي امرأةٌ طيبةٌ نوعًا ما، فهي تهتم كثيرًا بما يُسمى (الرفق بالحيوان) خرج الجمع كما دخل من قبل، ركبوا شاحنة نقلٍ أخرى، ثم انتقلوا إلى مكان العمل الجديد.

حقلُ مستر "إكس"

وها هو يعمل العمل ذاته برفقته إدريس ولكن بفأسٍ آخر وفي حقل آخر، يعمل من أجل بقاء روحه بعد قتل إنسانيته.

وظل يوسف يزرع ويعمل مع أبناء وطنه، طالما ينظر إلى إدريس، فيقول له:

عرفت الآن، الموت بين سيوف أقارب وطننا العنصريين يشابه الحياة بين غرباء الوطن الأكثر عنصرية.

** المُدمن **

في حجرةٍ مظلمةٍ إلا من نسمات ضوءٍ يشع من شاشة الحاسوب، جلس الفتى و يداه تساند وجنتيه، ينظر إلى أسفل، يعجز عن الكلام والحركة، يعاقب نفسه، يلومها لوم المشجوبِ بما فعلت، المهموم بمصيبته التي لا يعرف طريق الخلاص منها أو ربما يعرفه، ولكن لا يستطيع الوصول له فإنه يشق على نفسه ونفسه تختاله دائمًا، تحدثه أنا مطمئنة، وكل يومٍ يمضي عليها تسوء شيئًا فشيئًا

حتى حدثها بضميرٍ مستاء وقال:
يجب أن تكف عن هذا الفعل، خريج الفلسفة، قدوة التلاميذ، خلوق العائلة، ذكي الأصدقاء، محبوب المعرفة، ماذا يفعل؟ يضعف ويذل أمام شهوته كالمريض الذي يتجرع السم المريح بعض الشيء حتى عاش حياة مريضة بائسة، يالها من حياة منافقة.
لم تمضي بضع دقائق حتى توقف عقل عبد الرحمن ليمر ليله، كان الفتى يعمل ست ساعات يوميًا في إحدى مراكز المعرفة، يُدرس الفلسفة بشكل خاص، ليس مرتبط بالتعليم الأكاديمي، كان مجهدًا بشدة حتى أنه لم يشعر بأجراس المنبه إلا في العاشرة إلا ربع صباح اليوم التالي، تبقى من الوقت خمسة عشر دقيقة على بداية عمله، والشاب ما زال يفكر في إزالة غطائه، أصبحت العاشرة ودقائق خمس فوقها، بعد أن دخل مرحاضه وتلطف جسده بماءٍ دافئ، و ارتدى بنطالاً رماديًا قاتم، يعلوه تي شيرت أزرق فاتح، وكان مسرعًا للغاية حتى أن شعره المجعد لم ينظر إليه اكتفي بتدليكه بالزيت، و رباط حذائه كان مدلدل أسفل قدميه.
ثم نزل تتلهف عيناه لرؤية تاكسي، فرأت فأوقفه لسانه، وركب فأسرع السائق ووصل متأخرًا.
السلام عليكم، آسف لقد تأخرت اليوم، قد راوغني النوم ولم أستطع إلا الاستسلام، فردت إحدى الجالسات وهي تبتسم وقالت: يبدو أنك إلى الآن لم تستطع المقاومة في إشارة أن المتفلسف كان يلتف على جفنه شيء من العُمص حتى طمسه وكأنه أبله الحجرة.
كان يجلس أمامه أربعة فتيات وولدان يتراوح أعمارهم بين الثامنة

عشر والحادية والعشرين، يبدو أن الفيلسوف قد استعاد كامل استيعابه ورمى بقايا النوم المتعمصَة في صندوق مهملات الحجرة.
اندمجَ عقل الفتى فيما يتفوه وراح يتحدث عن الفلسفة ويقول: كل شيءٍ بداخلنا نستطيع أن نٰحوله إلى فيلسوف صغير يكبر معنا ويتدارك أخطائنا، ويعلم الآخرين، ويكبح شهواته، ويصادق ضميره، ويرافق قلبه عقله الراجح، ويخاصم نفسه الضارة، ثم وقف صامتًا للحظة وأكمل يتساءل: نستطيع أن نطلقَ على هذه الكلمات!،
فأجابت ماهينور: نُطلق عليها "فلسفة الأخلاق" .
فقال متلهفًا الرد: نعم، إنها فلسفة الأخلاق يا "ماهي"،كما تناديها صديقاتها، فتابعت وقد اندثر العمق على وجنتيها: أي نعم كذلك يا "عبد الرحمن ".
كانت تناديه دون أدنى تكلف، فكانت تصغره بخمس سنوات في العشرين من عمرها، وكان الفتى رغم أدبه وعدم قدرته على مهارة التحدث مع الفتيات كانت أذنيه ترقص عندما تسمع مَاهي تتحدث إليه، فقد كانت أفتن الفتيات جمالا وذكاءً، غير أن قصة شعرها المتغيرة باستمرار كانت تثير عينيه دائمًا، فعندما كان يراقب عيونها وتقع عينه على شفتيها الحمراوتين القاتِمتين تتحدث إليه كان يرتعش جسده، وتنقبض عضلات صدره، فتتبعثر أفكاره ويذهب حديثه بعيدًا عما أراد.
دق العقربان الثالثة والنصف عصرًا، انتهى يوم العمل بعد أن جمع الرجل صلاتي الظهر والعصر معًا، ترك العمل ذاهبًا إلى صديقه الذي اتفق معه ليلة أمس البائسة، على شراء بعض الأشياء بعد تناول

غذائهُما سويًا.
وأمست التاسعة والربع مساء بينما قد صعد الفتى ما يقرب من تسعٌ وخمسون درجات، وما تبقى سوى أربع درجاتٍ قد انتابه التعب من التسوق مع صديقه، دخل الفتى البيت، سألته أمه.
فأجاب : لا لست جوعان، بل جوعان نوم.
فسألت:
فأجاب :- نعم إنه ليس ميعاد نَومي ولكني لم أنم البارحة جيدًا، وما هي إلا لحظاتُ نومٍ عميق، استغرقت وقتًا طويلاً.
تبقى على حضور الفجر ساعتين، فالآن الثانية والنصف، نهض الفتى يستحضر بنشاطٍ غير معتاد كوبًا من النسكافية، وكان البيت دامس الظلام، إلا من شاشةِ حاسوبه، قد نام أبويه وخلا به البيت وحيدًا، فليس له إخوة، كان الملهم دائم التفكير لا يتوقف عقله في استرجاع ما قد مر به، حتى تذكر تلميذته الفاتنة "مَاهي"، ضحكتها، عينيها، شفتيها وهي تحدثه، كان يألفها، بل يروقه فتنتها، كان يتخيلها بدون فلسفة حتى كاد خياله أن يحرق يديه بِقطرات مياه بنيه انسكبت عليها.
تذكر أنه لم يصلي المغرب والعشاء فترك الكوب، و ذهب فتوضأ وصلى ثم جلس يقرأ رواية في الأدب الروسي ، اسمها (مذكراتُ قبو)، فقد كان شغوفًا بالأدب و يتلذذ بقراءته.
كان بين كل صفحة وأخرى ينقطع وصال عقله ويتخلله أفكار كثيرة متعددة الأشكال والألوان، يبدو أن اليوم قد أشبه البارحة، ترك الأدب، أغلق مصباح الغرفة و مكث وضوء الحاسوب يضيء وجهه،

حرك بيمناه فأرة الحاسوب، يسراه كانت تتحسس أزرار لوحة المفاتيح ، راح يبحث عما وجده أمس، قد عثر عليه، ليس بالتحديد إنه شيء آخر ولكنه مشابه، بدأت عيناه تلمع من التلذذ، تبلد قلبه من الشعور، توقف عقله، زادت نشوته، قويَّ ضعفه، وضعفت إرادته فارتفعت شهوته، ففعل فعله الأمس.

وأصبح كالجماد الذي لا يشعر ولا يتحرك، ظل ما يقرب من دقيقتين هادئًا، متبلدًا، فاقدًا لكل شيء، حتى اسمه.

أمست يداه كأمس على وجنتيه الأكثر شحوبًا هذه المرة، عيناه باتت مغلقة تمامًا، وكأن جفنيه التصقا ببعضهما البعض إلى الأبد، قد انتهى التلذذ وغابت النشوة فسيطر الصمت عليه، غطى الظلامُ الغرفة بعدما انطفأ نور الحاسوب، كان يشعر أنه يحمل وزنًا ثقيلاً من الهم فوق قلبه، بدأ في إدراك ما حدث، عاد إلى حياته مرةً أخرى، نهض من مكانه يتحسس مفتاح المصباح حتى لامس إبهامهُ، ضغط عليه فوجد نفسه أمامه ذليلة منكسرة قد استيقظ ضميرها المطمئن وبدأ يتحدث بأسف ويتساءل لماذا؟ و إلى متى؟

إلى متى أقف كل حين وآخر وأتساءل إلى متى؟

يبدو أن الإجابة لا وجود لها، بل يستحيل العثور عليها، كل ما أستطيع هو تكرار اللومِ مع تكرار الفعل.

نعم، تكرار اللومِ مع تكرار الفعل.

قد شهد على ندمه قرآن الفجر، فانزعج، ثم نهضَ وذهبَ ليغتسل، فتوضأ ثم صلى واستغفر، ونام بنفسٍ تكرر إقرارها على العزم والإرادة على عدم المضي والتكرار.

لم يأخذ النوم وقتًا طويلا، استيقظ التائب متأخرًا كالأمس، ذهب لطلابِ الفلسفة.
قد ازداد احمرار شفتي "ماهي" غازلها وغازلته بأدب.
انتهى وأصبح وحيدًا في ليلة دامسة، جاءت الأفكار، بدأت المعركة، قاوم، ثم استسلم فخسر.
ففعل فعلته وهذه المرة لم يفكر ولم يصمت بل استنكر اللوم
أصبح قلبه معتادًا على الهم حتى يداه تفارق وجنتيه، عيناه بدأت تنظر إلى الأمام دون انكسار
راح يتذكر الفلسفة مرةً أخرى، وتذكر تلميذته وهي تقول: " إنها فلسفة الأخلاق" .

**سورية في بلاد الأتراك**

تنظر إليهَا في لين وهي تقول: (ناسِل سن) ، nasilsin))
كيف حالك؟ وتتابع:
رددوا معي!
كاتشِن يا شِندا سن، kac yasin dasin ،وتعاود عينها للنظر إليها وتبتسم وتقول كم عمرك ؟

ثم تتبع وتقول بصوت كاد أن يطمس أنوثتها: سينين أضن نا، senin ad in an ، ثم تعاود النظر إليها وتقول: ما اسمك؟
جلست الفتاةُ مشتتة العقلِ، حائرة الفؤاد بين جدرانٍ أربع، مطلية بألوان هادئة بين الأخضر الفاتح والداكن من الأحمر، كانت تائهة بين ما يدور أمام عينيها، وضبابٍ كاد أن يصمُ أُذنيها، بل بالفعل صمّها للحظات، وعقلها الذي يختالها في كل دقيقة تمر بها.
عشرُ دقائقٍ فقط من الراحة، كانت رحلة الفتاة عندما بدأ عقلها يرجع إلى الوراء بخطىً هادئة.
بدأت الفتاةُ تحرك أصابع قدميها من تحت حذائها وكأنها تتفقد الألم الذي بقي من مشقة السفر، ولكن آلاف البشر بالكاد يفعلونها كل يوم، يحملون أمتعتهم، يهاجرون لا يعرفون إلى أين هم سائرون!
هاجرت الفتاة منذ زمن ليس ببعيد تتجه بوصلتها شمالاً في صحراء صفراء، يتخللها الأخضر من العشب كغيرها، تحمِل يُمناها ثلاثُ سنوات من العمر، لطفلٍ جبينه مغطى بخصلاتٍ صفراءَ ممتدةً إلى عينيه الزرقاوين، طفلٌ لا يُفرق بين الفرح والحزن، بين ضحكاتٍ عابرة، ودموعٍ مستمرة تتساقط على ظهر أمه، بينما كانت يسراها أجهَدتها بشدة لدرجة أنها لا تستطيع تحريكها سنتيمترًا واحدًا.
شعرت الفتاة بتعبٍ شديد، ورأت أمامها غيمًا أسودًا، بينما ظلت عيناها تتقلب بشدة، حتى بدأ الظلام يدمُس بها، كاد طفلها أن يتساقط منها لولا أن أنزلته لتقف قدميه في اهتزازٍ على أرض تلتهمها أشعة شمسٍ صفراء حادة، بينما يده تتشبث بأقدامِ أمه.

أحست الفتاةُ براحةٍ تامة عندما مكثت مستندة على من أجْهدتها، حقيبة قماشٍ ضخمة، متبلورة ثقيلة، بها قطعٌ كبيرة تحوي بعض الملابس، وبعض الطعام الذي قد أوشك غلى النفاذ.
وظلت تحدق بعينيها البنيتين تتفقد من حولها.
أناسٌ كثيرون، رجالٌ قد أضعفهم قوة السفر، وأطفالٌ ارتوت الجرداء ببكائهم، ونساءٌ وجوههم شاحبةً يكاد لا يفرقن بين أحدهنْ وشيوخ ماتت، امتلأت وجوههم بتجاعيد يفرقها خطوط يأسٍ متموجة، ومشقة الحياة المُميتة.
كان طفلها يصرخ جوعًا، لولا كوبٌ أسطواني من اللبن الذي سقاه فداوى صراخه، ولكن كانت الأم تفكر، _فقد نفذ اللبن وبعض بقايا الطعام_ ،غرقت الأم تفكر بينما كان طفلها غارقًا في عالم آخر بعد أن هدأت أنفاسه، وغطى غروب الشمس نصف وجهه الأيمن، فضمت أمومتها جسده بين صدرها حتى هرب مما تبقى من اصفرارٍ قد خف لهيبه.
نظرت وراءها تبحث، بينما كان جيرانها وأصدقائها ينظرون إليها للغرض ذاته، فنادت عليهم، وارتفعت يدها تنبه الجميع أنها هنا.
رأت الفتاة حشدًا من الجيران، فالكل قد ترك منزله وهاجر، حتى وقعت عينها على رجلٍ قد ناهز الثمانين شتاءً، شعره أبيضٌ كثيف ملتوي يتخلله الصلعِ، يقترب عليها تتلاعب الرياح بعكازه، يلبس جلبابًا أبيضًا متسخًا بسوادٍ ما تبقى من رماد نيران قصف المدافع، و معطفٌ رماديٌ يلتف حول عنقه، حتى وقف أمامها، فسألته المرأة: ما بك، أتريد شيئًا؟

على ما يبدو أن الرجل لا يستطيع سوى التمتمة الغير مفهومة!
فقدمت له زجاجة بها ماء لا يعلو عن النصف.
شرب وأخذ يمد قدمه شيئًا فشيئًا، بدأ ظهره يُلامس الرمال حتى استوى عليها كليًا، وذهب ليقابل طفلها في عالم آخر.
تتبعت عيون المرأة البحث حتى لاقت فتاةً قادمةً إليها من بعيد، تترنح تعبًا، تشبهها قليلاً في حجابها الذي هرب منه عدة خصلات سوداء تطايرت أمام وجهها، وفي معصمها وجلبابها الأسودين كانت الفتاة تحرك يدها اليمنى لتقترب الفتاة منها أكثر فأكثر حتى تحقق مُرادها ثم قالت: من أين أنتِ يا فتاة؟
قالت وهي تمكث بجوارها: كيف لا تعرفينني!
- فكان جوابها الصمت.
واتبعت: اسكن بالطابق العلويِّ أمامك منذ أكثر من خمس سنوات، ربما لم أراك منذ أكثر من سنتين، لقد تركت بيتنا ونزحت عند أحد الأقارب في بلدةٍ مجاورةٍ قبل أن يُقصف بيتهم منذ أسبوعين تقريبًا.
ردت الفتاة وقد انجلت ابتسامتها وقالت: وها هنا أصبحنا جيران من جديد، جيرانٌ بلا مأوى، بلا طابقٍ علويٍّ أو سفليّ.
بدأ الليل يقتحم أقوال الفتاتين، ويغشى عليهِما بظلامه المضيء، حتى تساءلت الفتاةُ وهي تستند بارتياح، هل سنمكث ليلتنا هنا؟
فلم تجاوب الأخرى وساد الصمت.
وراحت تضع ابنها بجانبها بعد أن فرشت له الرمال من القماش الأبيض، ووضعت عليه ساترًا، فلم يبقى من الطفل سوى لونٌ أزرقٌ

من عينيه يقابل نورًا أبيضًا، ينظر به القمر إليه.
وضعت الفتاة رأسها على متكئٍ قد أخرجته من حقيبتها، وظلت على ذلك إلى حين، باتت المرأة صامتة بضعة دقائقٍ تتحرك ببطءٍ حتى لا يستيقظ طفلها، ثم هرولت مثل ذاك العجوز المتمتم وتنهدت قائلةً: أين أنت؟
قد فارقتني، ربما يفصلني عنك زمنٌ لا أعرف مسافته، ولكني أظن أنه قصير، وأبت دموعها أن تتساقط، واكتفت بزفيرٍ عميق، ثم شهقت بألمٍ قد اشتد مأخذه، ثم جال بخاطرها صوته وهو يقول بكل قوته حتى انفجرت حنجرته: "ابتعدوا عنها"، كانت قدميه مقيدةً بسلاسل حديدية، لونها أسودٌ قاتم، كقلوب من قيده، كل قدمٍ تتشبث بالأخرى، وكلاهما في عمودٍ خرساني في بيتنا.
يداه يمسك بها أربعة شبيحة لا أستطيع وصفهم، كل ما كانت تذكره أنهم انهالوا عليه ضربًا وتعذيبًا حتى فقد وعيه، وطُرح أرضًا بعد أن كان يصرخ باسمها ويبكي ويقبض على جفنيه حتى لا يراها، كان يلتف من حولها ستة آخرين، تكاد تذكر وجوههم العابسة العكرة التي انتزعت منها كل شيء، ما بقي عليها إلا ملامح حيوانية مفترسة تفتح تضاريسها لتأكل كل شيءٍ يقابلها.
كانت مقيدة الأيدي، مُكتفة الأرجل، عارية الملبسِ، مشوهة الوجه، ينساب من أنفها دماءٌ كثيرة، بعد أن حاولت أن تقاوم بلا جدوى.
كانت الزوجة تصرخ باسم زوجها حتى استسلم فقدان وعيها هي الأخرى،
قبل أن يغتصبها شخصان من بين خمسة أشخاص يلتفون حولها،

التفاف خمسة أسودٍ صغار مأمورون من سيدهم الأكبر أن يلتهموا فريستهم الصغرى.

كانت الفتاة ترَاوغها عينها من حين لآخر، ذكرياتٌ تتألم لها، حتى بدأت دموعها تتساقط، حتى أحس بها طفلها فتباكى هو الآخر بشدة.

ظلت يديها تدور على صدره حتى هدأ، وبدأ الاثنان في السكون سويًا، وما مر إلا دقيقتين وكأنها تسمع صوتًا لا تفهمه، صوتٌ خشن، يأتي من ورائها يلتمس كتِفيّها ويقول:

يا فتاة، قد عدنا هيا، فلتْعرفيني بنفسك!

حسنًا: اسمي ديما عبد الحميد إبراهيم، عمري ٢٧ عامًا، جئت من وطني سوريا وأنا الآن أتعلم اللغة التركية.

Hey, kızım, geri döndük, hadi bana kendim haber verin Nour Abdel Hamid İbrahim'i çağırıyorum, ٢٧ yaşındayım Suriye'den geldim şimdi şimdi Türkçe öğreniyorum.

** فخاذ السينما المصرية **

كانت الفاتنة تقضي وقتًا طويلاً مع صديقتها، غالبًا كان ليلهم الدامس ثالثهما في المرافقة حين ينام الجميع.
تقف أمام رفِيقتِها، تُسامرها بلهفةٍ وإعجاب مُفرِط ومُفَرِط، ترى جمال عينيها في انعكاس ضوئها، كالقمر المنعزل عن السماء، أو ربما كالشمس المهدور حقها بين أضواء النهار، من اليقين أنها ترسخ في ذهنِها أنها نجمة ساقطة، ولكن في مجرةٍ أخرى لا يراها ولا يعترف بها أحدٌ سواها.
كانت عندما يطول الليل ويستطرد الصباح في تأخره تبدأ مشاعر فضفاضة لا يخترقها أدنى درجات الإحراج في سرد ما يكمُن بداخلها، وتقول:

تعرفي جيدًا، تتجاهلني شاشات التلفاز بالرغم من تفوقِي الكاسح عليها فيما تعرضه باسم الفتيات الحسناوات المبهرات للعقول، الخاطفين للقلوب، المُلفتات للأنظار بكل ما يملكون من أنوثةٍ وجمال، شعري لونه يشابه الأصفر المنبعث من أشعة الشمس على أقمشة الحرير التي تلتوي بفعل صانعيها، وجهي يتميز بالملامح الدافئة الفاتنة لا يقاومها أحد، كالغريق في محيطٍ أملح عند المقاومة في موج أزرق كعيني بدون عدسات لاصقة.

اعذريني مضى وقت الكسوف ولا يوجد سوى أنا وأنت وقد اتفقت معكِ على المصارحة دون أدنى حرج فلا داعي للكتمان، جَسدي قوامهُ ممشوق يشابه الفرنسيات الشرقيات في حسن رقته، ينزعج الجسد الآخر عندما يراه كانزعاجِ الزيت المغلي عندما تلامسه قطرات مياه باردة، ومع ذلك لا أحد يهتم بذلك غيرك بعيدًا عن شاشاتكم السيليكونية المفضوحة.

بعد أن استفاضت الفتاة في حديثها الذي أصبح مملاً للمستمع الذي تتكرر الكلمات في أذنه ليل بعد ليل، باتت الجميلة تستاء هي الأخرى، كم مرة تحدثت دون ردٍ وصارحت بلا فِعل، ولكن تستمر بعد أن استدارت وتابعت في ثناء وامتنانٍ تام، كم أنت صغيرة و مخلصة، لن أنسى لكِ جرعات التفاؤل التي تَزودتها أمامك، بالأخص عندما أخلع حجابي الذي طالما حجب أعين الناس عني، وأتحرر من عباءتي الواسعة التي لا تنال إعجاب أحدٍ سوى أبي وأخي الأكبر مني سنًا، فأستاء أنا منه، ويستاء هو مني بسبب بعض التصرفات التي يراها مخلة للأدب، الذي أرى أنه لا يعرف

أي شيء عنه،- بعيداً عن الثرثرة- ، لمحت الفتاة ضوء هاتفها عندما كانت مُلهمة أمام مرآتها المخلصة، يهتز دون توقف، لأنه ليس على وضعه العام حتى لا يستيقظ أحد بسبب صوته.

إنها صديقتها أمل.

فتاة تكبُرها بأشهر قليلة، تشاركُها في فكرتها، تبعد كل المسافات عنها من زاوية الشكل، تعشق الفن والتمثيل والغناء، ولكنها تتحلى ببعض الكسوف واحمرار الوجه عندما ينجلي أمام الآخرين، فلا يرى موهبتها غير صديقتها سارة، تكاد تظن الأولى أن الثانية تتميز بالجرأة والذكاء والقوة أكثر منها بل تبغضها على ذلك، تقول لها دائما: يا سارة أتمنى أن أكون مثلك في قوتك، وذكائك في التعامل مع المجتمع، وعدم اهتمامك بالقيل والقال.

أجابت سارة بمجرد أن لمست هاتفها، فأخبرتها أن إحدى شركات الإنتاج السينمائي فتحت بابها للتقديم من أجل اختيار وجوه جديدة للفن، وبهذا اكتمل آخر الليل القصير بسعادة دام نهارها، فلِم لا؟ واتفقنا على الذهاب إلى التقديم الأسبوع القادم، حيث الموعد المقرر.

ولكن اشمئز بال الفتاة عندما جاءتها فكرة الذهاب بعباءات الجسد الواسعة التي تُذكرها بخادمات القصور؟ أم بالشعر المحجوب تحت أقمشة قد دأبت؟، ضجرت الفتاة من التفكير في اختيار الملبس وتذكرت مرةً أخرى أن أموالها هي وصديقتها لا تكفي لشراء ملابس فاخرة للمقابلات و السهرات وما شابه، ولكن لا بأس، استقر في وجدان الفتاتين و اتفقتا على أن الغاية

تبرر الاستعارة، كلٌ منهُما استعان بأقاربه للوصول للغاية، ألا وهي الملابس الفاخرة التي تناسب المقابلة، ولا تناسب الحشمة، وتبعد كل البعد عن تقاليد البيت، وتتنافى مع أعين أولاد الحارة.

ظلت المرتقبة طيلة الأسبوع تفكر في الميعاد المرتقب لها.

تكرر بصوتٍ منخفض أصوات الفنانات، طريقة خطواتهم، قصات شعورهم، علو ضحكاتهم، همس بكائهم، ولكن يبدو أنها الأروع في إبداعٍ جديد للإغراء يفوق طريقة إغرائهم.

مكثت تشاهد الشاشات، يذهب خيالُها بعيدًا، لا يعرف أين الطريق ولا يملكُ حتى السبيل، ولا يعرف إجابةً محددةً عن ماذا يريد!

وكانت تردد دائمًا، أن أمل قد قارب عليها حلم حياتها ولكنها تبتعد عنهُ بسبب خوفها و ارتباكها وخجلها الزائد أمام الرجال-أمام الرجال فقط -.

يوم السبت، آذان العصر ٣:٤٠

تقابلت الفتاتين يترقبان بضعة ساعاتٍ قليلة، هواء قليل يزداد بمرور دقيقةٍ تلو الأخرى، بين ثقة الأولى وقلق الثانية.

ذهبا إلى محل كوافير إحدى صَديقاتهما، ليقوما بِخلع وارتداء الملابس التي عثروا عليها للمقابلة الأهم في حياتهما.

بعد أن تأكدت الفتاة من أنوثتها وقفت على باب الكوافير تضحك وتمتمت قائلة:

- حرمًا يا شيخه أمل.

فضحكت ووكزتهَا في كتفها وقالت: الله المستعان.

لم تستطع الثانية التنكر من فطرتها الدينية بالرغم من خلاعةِ ما ترتديه، شيئا ما بالنسبة الضاحكة.
السادسة مساءًا.
أوقفت الفنانة الواثقة عربةَ أجرةٍ لتحملهُما إلى مكان الموعد.
وقد اكتسبت أولى لحظات ثقتها بنفسها من نظرات السائق لها، ودقات قلبه التي كادت أن تنفجر من صوتها الذي أُربكه.
وأوشكت اللحظة الحاسمَة على الوصول، دخلت الفتاتان إلى الصرح العظيم، يتحسسون ما حولهم من فخامةٍ معمارية، وذوقِ الأثاثِ الفاخر، و اللمسة الفنية الساحرة.
فحدثتهمُا فتاة في العشرينيات بابتسامة فائقة الرقة والأنوثة .
فتابعت إحداهما وقالت:
جئنا إليكم بشأن إعلانكم عن وجوه جديدة للسينما المصرية،
فتوقفت الابتسامة وتساءلت: ما اسمكما بالكامل؟
فأجابت الأولى بلهفة: أمل إبراهيم عبد الحي، والثانية بتمهُل: سارة محمد عبد المجيد.
فتابعت السؤال:
فتابعتا الإجابة وقالتَا: نعم سجلنا منذ ما يقرب من أسبوع، وسألتَا: متى المقابلة؟
فأجابت: سأنادي على أسمائكم جميعيًا وهي تشاور يمينًا وتُكمل_ تفَضلا الجلوس في قاعة الانتظار.
كان هواء المكيف باردًا، لم تتعود الاثنتين على استنشاقه، لوحاتٌ فنية معلقة، بعضها أبيض وأسود، والآخر يخلو منهمُا، رسومات

جرافيتي ملصقة على الجدران، فتياتٌ تختلف ألوانهم وقوامهم.
ما هذا الجمع! كلٌ منهن يراقبن الآخر في تمعُنٍ دقيق، و بصمت الحديث، و ضحكاتٍ عالية تأتي بعد التناجي.
جلست، وصديقتها بجوارها يتبادلان النظرات الثاقبة بينهن وبين الأخريات، بعضهم يشبه سارة في ارتداء الملابس، _القميص الكت، تنورة قصيرة ضيقة تعلو الركبة، وملامح الوجه تتباين بين لون العين واستقامة الأنف وقصات الشعر ورقة الصوت_ ، وأخرياتٌ مثل أمل، _بنطال الجينز، قميصٌ يقدُمُ على الاحتشام، ولا شك أن الحجاب محجوب عن فتياتِ القاعة جميعًا.

ما زال الجمع على همسه، لا يُسمع إلا صوتُ ضحكاتٍ عالية، تأتي بعد الهمس ثم تضرب كفوف على كفوف.
من وراء الباب إذ تدخل وتنادي بصوت رقيق في علوه، الآنسة سارة محمد عبد المجيد، تفضلي، وبعدها.
إذ ساق تنزل من على الأخرى بعد أن ملَّ إصبع الروج من المرور على شفتيها، تودع مرآتها الصغيرة التي لا تفارقها وصديقتها التي ربما فارقتها الآن، ها هي مستعدة تثق فى نفسها، اقتحمت المكان على الجالسين.
إذ بطاولة عرضها أكثر منها طولاً، ثلاثةُ رجالٍ في الأربعينات من العمر، يتوسطهم منتجٌ سمينٌ بعض الشيء، يرتدي قميصًا فاقع اللون، يمينه مخرجٌ طويل القامة، يكاد لا يُرى فمه عند الحديث طالما تقابلا معًا، شعر ذقنه وشاربه، وثالث لا تعرف من هو ..

أجابت عندما سُألت للتعرف بصوت عادة ما تدربت عليه : اسمي سارة محمد عبد المجيد، ٢٣ سنة، معهد تكنولوجيا الحاسبات والإدارة.

وأكملت بتفوهٍ وكأنها حقوقية تدافع عن قضية: لا ، لست محجبة، أؤمن بحرية المرأة في كل شيء، فالمرأة جسدًا وروحًا حرةً، لا يستطيع أحدٌ أن يقيدُها. وتابعت تجاوب وقد انتابها شيءٌ من اللباقة اللغوية: أتمنى أن أقدم فنًا هادفًا، يفيد المجتمع بصفة عامة ، وبدأ صوت الفتاة يهز أركان وجدان المستمعين، واستمر يعلو طبقاته من الضحكاتِ المتتالية بعد أن بدأ الغزل تجاهها من الجالسين.

أثناء الحديث لازالت عين أوسطهم تسكن داخل حدود ساقها المتموضعة على الأخرى، لا تأبى الهجرة عن جمالها، من الواضح أن ردفتهَا ناصعةُ البياض، ناعمةُ الملمس، قد جذبته نحوها.

بعد الحديث الفضفاض قامت عارضة الأزياء، تتحرك بهدوء، تتمخطر بأنثوةٍ خاصة أمام الجميعِ بكل ثقة، حتى أنها حلقت في سماء النرجسية وبكل إعجاب وتقديرٍ من لجنة التحكيم.

سمعت وقد تَملكها الغرور كلماتٌ تحدثها أنها نجمة الشاشات القادمة، لأنها تمتلك كل مواصفات فتاة السينما.

وحُدد لها موعد المقابلة القادمة التي حتمًا ستكون في الغرفات المغلقة، نعم الغرفات المغلقة ولما لا!، لتعرف طريق الفن بالتحديد، وكيف السبيل إليه؟

غادرت النجمة الموهوبة القاعة قبل أن تقابل استفهام صديقتها

أمل، فسألتها وهي تتشوق الإجابة: ماذا فعلت؟،ماذا قالوا لكِ؟،كيف تعاملت معهم؟،هل قمت بالتمثيل أمامهم؟
ففكرت مليًا وقالت: لا أعرف ماذا فعلت ولكن حددوا لي مقابلة أخرى الأسبوع القادم، لاستكمال المشوار الفني كما قالوا لي.
ثم أصغت الفتاتان وقالت إحداهما:
أنصتي، تنادي عليك، جاء موعدك يا أمل، لا تخافي ولا تقلقي أمامهم.
لم يمض من الوقت سوى خمس دقائقٍ، حتى خرجت الفتاةُ منزعجةً، فقالت لها عندما رأت ملامحها بدت شاحبة واصفرار وجنتيها قد لحق بها:
لا بأس، ما هذه السرعة، ماذا فعلتِ؟
فردت وهي خائبة الظن: لا أعرف، لكن الذي يتوسطهم في الجلوس، قال لي: سنتواصل معكِ لا حقًا، أشعر أنه كان غاضبًا مني، لا أعرف لماذا؟
طلبت منهم التمثيل أمامهم، ولكنه رفض وطلب منى السير بخطوات هادئة وكأني عارضة أزياء، فقاطعتها وهي تضحك بشفقة: كفى، أنت لم تنجحي، حظًا سعيدًا أمل، ربما كان سيرك أمامهم مثل جندي الجيش في طابور الصباح. كانت هي آخر كلماتٍ حدثتها لصديقتها أمل، قبل أن تنقطع علاقتها بها شيئًا فشيئًا، وأصبحت نجمةً بارزةً لا تغيب عن سماء الفن والشهرة، وردة تنعش حدائق المجتمع، اسمها لا ينقطع عن حديث المعجبين، صورتها لا تغادر عيون العاشقين، كثيرٌ من المال والشهرة والسلطة.

**التائِهُ والفتاة، والبرجوازي**

كادت سيارتهُ أن تصطدم بأخرى لولا ردةُ فعل يدهِ اليمنى وهي تُغير اتجاه وجهة المُحرك "الدركسيون" بعيدًا عن شجرةٍ بمنتصف الطريق، أصابع قدمه اليسرى تضغطُ بقوةٍ على الفرامل أسفل السيارة في موقفٍ يشبه الدراماتيكية، استرخت له فيزياء العقل للحظات حتى رجعت لصحوتِها مرةً أخرى، إذ يرجع الفتى بظهره للوراء و شهيق عميق يتقدم، ورموش عينيه السوداويين تقابل بعضها البعض وهو يغمغم بصوتٍ منخفض لا يُسمع ولا يُفهم: "الحمد لله، الحمد لله على النجاة".
عندما فتح عينيه انبرى إليه أُناسٌ يلتفونَ حوله، ينظرون إليه بأقصى شفقةٍ ورحمة ، يطمئِنون عليه بكلماتٍ تُخففُ عنه حدةَ الموقف، يرددون:
(الحمد لله على سلامتك، أنت شاب بمقتبل العمر، انهض، وأكمل طريقك ربما تأخرت على موعِدك)، نهض الشابُ من مكانه، مدّ يده اليمنى نحو زجاجة مياه ينقصها الربع لا تُفارقه، في رِحلته الغامضة تذكر أنه لم يتأخر عن أي شيء، ربما لا يوجد موعدٌ من الأساس لأنه من المؤكد أنه كان لا يعرف طريقه.
كل ما يعرفه أن نفسه تضمُر كمًا هائلاً من المعاناة، وذاكرته يلتحم بها أحداثٌ بائسة.

بدأ صوتِه يرتفع رويدًا، يحدث نفسه بابتساماتٍ لا تتجاوز حد الضحك يقول:
ربما كانت لدي فرصة للموت بدون انتحار أظن أنها لن تتكرر، كم أنا تعيس!
في لحظاتٍ، تَمَلك البُؤس من الشابِ والتف حول عنقه آثار الاكتئاب، وقيدت يديه بمعدنٍ حديدي، وألقيَّ به في نيرانٍ تملؤها الهموم والأحزان، وكسيّ عقله بأثواب يتخللها أفكار العزلة والانطواء، بينما مشاعره بدأت أن تميل إلى الكْره والتبلد، وشيئًا من الازدواجية وقليل من العنصرية.
ولكن وجد الشاب السبيل في أن تبدأ سيارته بالابتعاد عن أضواء المدينة وتكدسها الصاخب، بدأ الأشخاص من أمام زجاج سيارته ومن خلف مرآتها يختفون شيئًا فشيئًا، قرر أن ينزل من سيارته بعد توقفها، نزل تاركًا المفتاح بداخلها بعد أن غادرها وحيدةً تنتظره، حتى بابها أقلع عنه مفتوحًا ينتظره، وذهب بعيدًا بأمتارٍ قليلة يبحث عن العزلة التي افتقدها طيلة حياته، استمر في الابتعاد، لا يدري إلى أين تتجه قدماه ومتى ستقف!
ربما يحركه الآن شعورٌ لا يشعرُ به أحدٌ سِواه ، لا ريب أنه لا يشعر من الأساس.
إذ وقفت أمامه خضراء اللون تتمايَل غصونها وكأنها أسعد منه حظًا، نظر إليها بابتسامة موجَت تجاعيدَ وجههِ، نظر إلى الأرض يقول لها الشاب بصوت رقيق وكأنه يغازل نجوم السماء: اسمحي لي بدقائق قليلة، أتحدث إليك بكلمات كثيرة فربما لا يطيق لساني

التحدث مع أحدٍ في هذا العالم مثلي، فأنا أعرف أنك لا تستطعي إلا السماع فقط، وهذا مقصدي، فأنا لا يسمعني أحد، وإن سمعني أحدهم لا يقتنع بي ولا بما أتفَوه به، ربما جئتُ هنا لإقناعك بأشياء لا تعترفين عنها شيئًا، أو تجهلينها من الأساس، وكيف؟ و أنتِ هنا وحيدةً منعزلةً مقيدةً في رمالٍ صفراء، تتطاير بكامل حريتها؟

أعرف أنكِ صابرةً تتحملين الأسى، فأنتِ تُسميَّ (صبارةُ الأسى)، هل أنت كذلك حقاً!

بعد أن تفوه بكلمات فضفاضة، ساد عليه الصمت وبدأت مشاعر الفتى تهدأ تدريجيًا، وينتابه نوعٌ ما من الخمول والعته، عندما نظر إليها وَتهشم تجاهها، أدرك أنها لا تبالي بما يبوح، وظلت تتمايل وتتراقص دون مشاركةِ انفعاله.

قرر أن يعود لِمَا ينتظره لاستكمال رحلته، حتى ضاقت عيناه واقتربت من ضبابٍ أسودٍ يحول بينه وبينها، سمع همساتٍ وكأنها تحدثه بصوتٍ يُدوي منه ألمًا،

تقول: يا هذا، لا تتركني وحيدةً، فأنا هشة أتمايل ضعفًا، وليس رقصًا كما تظن، لستُ مثلك في قوتك، تستطيع أن تتحرك وتقف على قدمٍ ثابتة أينما شئت، أنت صاحب قرارك، لا مانع عندي الآن إن تتركني، أنا أنتظر ماء الشتاء ينساب عليّ قريبًا، أكمِل طريقك بصمتٍ ولا تنزعج، فربما إزعاجك ينزعج منه الآخرون.

بدأت عيناه تُفتح شيئًا فشيئًا، بدأ في إدراك واقعه، بدأت ملامحُ يومه تنجلي رويدًا، ويداه تسكُب من أعلى مياه ساقطة على أغصانها، تدفئها وتُطمئنها وتعوضها صبرها، وبدأت شفتاه تتحدث:

يا صبارتي، اليوم أنا شتاءك، فربما غدًا يكون أحدهم شتاءي، ثم أسرع الشاب إلى سيارته مرةً أخرى، وانتقلت سرعةُ السيارة من المتوسط إلى الأقل، بدأ تفكير الشاب ينشغل بالطريق وعيناه اتسعت من ضيق الشوارع، و استاءت أذنيه من ضوضاء المدينة التي عاد إليها من جديد.

بدأ التائه يقترح على نفسه أن كوبًا من القهوة المضبوط سُكرها في مكانٍ هادئ، هو الحل في تلك الأزمة، وعندما قرر ترك سيارته تستريحُ بجانب الطريق الضوضائي وبيده مرةً أخرى دفع باب إحدى الكافيهات الفاخرة لفعل ما نوى عليه، جلس وحيدًا في مكانٍ يتسع لأربعةِ أفراد يتفقد ما حوله، وضع حقيبته أمامه، يبدو أنها حقيبةً تحمِلُ أوراقًا للشركةِ التي يعمل بها، وفوجئ أنه يبتسم ويجاوب مسرعًا: فنجان قهوة مضبوط، للرجل الذي سأله برفق تشرب إيه يا فندم؟

ذهب الرجل وعادت نظرات الشاب لمن حوله تتفقد، تتحسس، تتعجب، عندما رأت رجلاً أملس الوجه في غلظته، يستقيم أنفه بلا اعوجاج، عينيه وكأنها تلامس شعره من كثافته، طويل القامة، يرتدي بدلةً سوداء يُشبه أصحاب العمل البرجوازيين في العصور ما بعد الوسطى، يبدو أنه صاحب العمل النبيل ولكن في يومنا هذا.

ثم سرح نظره وعقله يرى شيئًا آخر.

-آسف، صدقيني لم أقصد، لم أقصد إزعاجكِ أيتها المرأة.

كانت كلمات حدث بها المرأة التي تجلس أمام رأسه بصوتٍ مغمغم لا يسمعه غيره، عندما عبرت له بنظراتها وتجاعيد وجهها

الغاضبة، عن استيائها من تحديقه المستمر الذي لا ينقطع، وظل العاشِق يعتذر ولكنه تمنى للتوِ أن تكون شريكة حياته، بل زوجته وصديقته في البيت بدلاً من زوجته التعيسة، فهي ذات قوامٍ ممشوق، ينبعث من نظراتها الجذابة أشعةً حادة الذكاء، نالت إعجابه ابتسامتها، يرافقها شيءٌ من الأمل والخجل معًا، كان يحتاج القليل منهُما، راح الشاب يحلم أكثر وأكثر عندما لمح يديها، فوجد أصابعها خالية من خاتم الارتباط، وَسبح بخياله مرةً أخرى.

أخذ الأبله لحظاتٍ ينكبُ فيها حظهُ وسوء اختياره، كلما نظر إلى الجميلة، وعندما نظرت إليه أقسم سرًا أن يذهب إليها للتعرف عليها، فربما شعر في نظراتها بإعجابٍ مفرط لديها، أو قليل من الحب يندفع إليه من خلال خصلاتِ شعرها المموج الكستنائي اللون.

أحس الشاب أن فترات مراهقته قد عادت من جديد، رُبما لا يميل المراهق بشيءٍ من التفكير الجاد في تلك اللحظات، ربما تحول إلى طفلٍ يحتاج العطف والإشفاق، عادت نظراته إلى فنجان القهوة الذي شرب منه رشفتين بعد أن تناول كأسًا طويلاً من الماء المثلج الذي أنعَشه، وفي هذه اللحظة تذكر الصبارة، وابتسم ابتسامةً بسيطة، تمنى من المرأة أن يسبح خيالها بأن تلك الابتسامة لها وليست لغيرها.

بدَت تجاعيد وجهه البائس أكثر تعقيدًا، كأنه عجوزٌ طغى عليه الزمان، أو صبيٌّ لا يستطيع مواجهة الزمان الطاغي، شعورٌ بالضيق اقتحمه، ربما بدأ ضميره يحدثه، بل يعاتبه بخيانته التي لا يشعر

بها.
كيف له أن ينظر ويعجب ويحب امرأةً وهو متزوج من ذاتها!
حقًا إنها تعيسة بائسة، لا يتحملها، فهي تجلب له الشقاء والحزن، كثيرًا ما تنشغل عنه.
ويقول أنها لا تحبه ولا تهتم به، ولكن من قال للخائن أن امرأة الكافية صاحبة خصلات الشعر المتطايرة التي أثارته بجمالها ورقتها وذكائها، أنها تحبه أو حتى تلتفت إليه.
ومن الممكن أن تتحول هي الأخرى إلى امرأة بائسة تعيسة، لا تعرف الحب بل لا تطيق العيش معه، ويتحول كل ما يراه الآن إلى كل ما يراه صباح كل يومٍ في زوجته التي يخونها.
وراح الشاب يرجع بذاكرته إلى الوراء، حيث فترة خطوبته من فتاة أحلامه التي أثَارته فيها ذات الأشياء التي تثيره الآن، كان يقول لها ويشهد العالم أنها الأفضل فيه، قبل أن يحولها إلى الأسوأ في نظره، ثم تمهل قليلاً.
كان من الأجدر أن يراجع نفسه ويستكمل قهوته ويفكر في الأمر جيدًا، فربما ليس بخير الآن.
تمكن العمق من الشاب في التفكير في الأمر حتى شعر بمرارةٍ صاخبةٍ بفمه، إنها قلائِل البُن المُرِ المتبقي في قاع الفنجان، لم يستكمل الرجل كوب الماء ليطغى على مرارة القهوة بسبب سماع دوي انفجار في حنجرة الرجل صاحب الأنف المستقيم والشعر الكثيف، على ما يبدو أن صوته أثار ضجة وريبةً شديدةً في أعين الناظرين له من حوله، الوضع ليس على ما يرام.

"أنت مخطئ وفاشل ولا تعرف أي شيء، إن تكررت تلك الأخطاء مرةً أخرى ستذهب إلى مكان آخر للبحث فيه عن عملٍ يليق بفشلك، هل سمعتني!"

كانت تلك الكلمات موجهة كالرُمحِ من الأصلع صاحب العمل إلى شاب يعمل بالمكان نحيل العود والصوت.

تأكد من سَمِعَ هذه الصيحات أن الشاب أخطأ وفعل شيء شنيع ومريب لا يستحق إلا اللوم والعتاب وربما التهديد، ولكن أبى الشاب التصديق، لم يهتم بالأمر من الناظرينَ غيره، ربما الأمر بالتأكيد غير مهم بالنسبة له ولهم.

ولكنه شعر أن صراخ حنجرة هذا العجوز يمكُنها الافتراء، وليست على حق، وأن الفتى لا يستحق كل هذا التنكيل، بل من الممكن أن يكون محق، ولكن ضاع حقه وابتل في يابس ضوضاء الباطل.

بدأ الشاب مرةً أخرى يوجهه نظراته بثقبٍ شديد للرجل، ربما تذكر آخر لقاء جمع بينه وبين مديره في العمل قبل ساعات قليلة من الآن، وقال بصوت يغلب عليه الضحكات المنخفضة، و باهتزاز رأسه الشديد من حينٍ لآخر، هكذا، رجالُ الأعمال، أصحاب المال والسلطة غالبًا برجوازيين، لا يعرفون سوى مطامعهم الشخصية، لا يقدرون إبداعنا، يهملون أفكارنا، يظنون أنهم هم الأقدر في ريادة العالم، ونحن الأجدر في التبعية لهم دون حديثٍ أو نقاش، يأمروننا فنُطيع و يعطونا أموالاً كثيرة حقيرة ليُخرصوا أفواهنا الثمينة، ويُغلقوا الأبواب على عقولنا، فلا نفكر، ولا نتكلم إلا سرًا، ولكن لن أستسلم بالفعل، بل سأقاوم.

بدأت كيلو جرامات العزيمة والإرادة تتحرك التي ثقلت من ثقة الشاب بنفسه، أخرج من حقيبته ورقة وقلم جاف، أمسك القلم بيده اليسرى، وكتب في منتصف الورقة أعلاها.

**جنة الخالدين**

كان يعتقد أنه سيبقى في كَدٍ وشقاء الدنيا ولكن إرادة الرب أقوى. إذ فتيان يدخلان ينظران حولهما، نور وجههما من بديع إشراقهِ كالضوءِ الساقط علي وردة تفتحت في حدائق بهية، صوتُ زقزقة

البلابل يُطرب المضطرب، وسيمفونيات العصافير ترقص فوق آذانِهم، أشجار بديعة في جمالها، تجمُل في إبداعها، يعلق عليها فاكهةٌ كثرت في ألوانها وذوقها، كان الشبان يجولان متهرولانِ كالذي يسير في انتظام النعيم، والذي طالما انتظر من أي إنسان خُلِق

كان الأول شعره كثيف، كريم في مظهره، جلده أملس، لين البشرة، صافي الوجه، عظيمٌ في قوامه، وآخر برفقته بشوش الوجه، قوي الابتسامة، بريء المضمون، يلبس قميصًا أحمر.

إذ أقدمَا الاثنان على ثالثٍ يمكث وحده يتكئ على أريكة حريرية، وكأنه يسكن في هذا المكان منذ قرون مضت.

وقفا أمامه، فوقف إليهما وسلم، وابتسم وقال:

تفضلا بالجلوس معي.

فردا الأول بالجلوس، والآخر بالسؤال، هل تعرفنا ؟

فأجاب: نعم، ما اسمُكُما ؟

_جابر

_وأنا، أنس

فابتسم وعرف نفسه: خالد، ما بكما! أخبراني ما قصتكُما ! كيف جئتم إلى هذا المكان الشريف؟

فأجاب أنس وأكمل في ابتسامته:

قصتي غامضة بعض الشيء، ثم راح بباله يُفكر وذهب بصمته بعيدًا،

فنظر إليه جابر وتنهد مليًا ثم حدق النظر إلى خالد وسأله:

منذ متى وأنت هنا يا خالد؟

_لا أعرف، ربما منذ زمنٍ قريب، فلا أبالي بالوقت، فأنا خالدٌ هنا.
وكيف جئت إلى هنا؟
_جئت شهيدٌ مثلك.
وكيف غادرت؟
_غادرت بغدر القاتل.
ومن القاتل ، أتعرفه؟
_أتذكره جيدًا، كان غاضب الوجه يرتدي زيًا ميري، وجه بندقيته نحوِي.
ولماذا قتلك؟
_لأنه يدافعُ عن الظالم.
أكمل.
لا أتذكر، ثم جئت إلى هنا ،وأكمل متلهفًا و أنت يا جابر، ما قصتك ؟
_قصتي هي قصة الظالم.
كيف !! أتقصُد القاتل؟
_لا ،الظالم
هل رحل بعدي؟
_نعم، رحل بعدك بأيامٍ قليلة.
فابتهج، ثم تساءل بملامحِ المجهول وقال:
وماذا عن الظالم يا جابر؟
_أتقصُد القاتل؟
من هو، أتعرفه؟

_الذي ظلمني
ولماذا فعل؟ فقد رحل الظالم، عم من كان يدافع؟
_عن نفسه.
كيف؟
_لأنه قتلني.
أتذكره؟
_أعرفه جيدًا، كان غاضب الوجه يرتدي زيًا ميريًا وجه بندقيته نحوِي.
ثم غشى الصمت، ونظر المتحدثان إلى الصامت وقد كان يتفحصهُم بملامح الشاب الخلوق، وكأنه تذكر روايته وكأنه يعرف ما يروون من قبل.
فقال له خالد: لماذا كل هذا الصمت، الآن أنت سمِعت وعرفت روايتنا، وتابع جابر:
- أما عنك، فنحن لا نعرفُ شيئًا.
فتنهد وكأنه أنهى ذكرياتٍ مريرة قد مضت على خاطره، وقال: لم أسمعكُما، أعرف قصتكُما جيدًا وقد رأيتكُما من قبل أن آتي إلى هنا.
وتابع جابر: متى رأيتنا؟
فأجاب: شاهدتُ خالد في فيلمٍ وثائقي، كان يتحدث عن شهداء الثورة، كما قرأت عنه في إحدى الجرائد التي يعلوها مصطلح الشهيد والثورة، أما عنك يا جابر فكنت أشاهد كل يومٍ ابتسامتك وهي محفورة بألوان وضعت ملامح وجهك على جدران الميادين، فكنت أنظر إليك ولا أعرف أنني سأمكث معك اليوم.

فابتسم خالد وقال وقد اجتمعتما الآن في نعيم وخلود بلا شقاء، ولكن أخبرنا ماذا عنك ؟
فأجاب وقد انتبه: أنا صاحب التيشيرت الأحمر..
_ولماذا الأحمر؟
لأنه لون الدماء
_دماء الميدان
لا، بل دِماء المُدرج، ولكن بلا مفارقة فدماء الحرية تجمعُنا.
فتساءل جابر: ومن القاتل؟ أهو ذاتُ الشخص صاحب الزي الميري.
فأجاب وهو يضحك: لا، ليس هو، ولكني رأيته يقف بجانب القاتل ويشاهده وهو يقضي عليّ.
من هو القاتل؟
_لا أتذكر وجهه، فالمكان كان يصخب بأناسٍ كثيرون، والهلع قد حل الأفئدة، والعقول قد تجلطت، والدماء قد سالت، ولم أرى سوى أصدقائي قبل أن نودع المكان والزمان.
بدَا بعض الأسى يطمس راحة الوجود، ولكن على ما يبدو أن الهم قد جاء ليس لرحيلهم ولكن لأسباب أخرى.
ثم تساءل خالد وكان أكثرهُم حزنا: وماذا عن الثورة؟
فرد صاحب التيشيرت: الثورة تركناها في أيدي القاتل.
وأكمل جابر: أما عن أصدقاءنا فهم يحاولون انتزاعها بشتى السبل، ولكن لا أعرف هل سينجحون أم سيخضعون! .
فقال خالد: ربما يأتي أحدٌ من أصدقائنا ليخبرنا عن أنبائها.
وقد طال الحديث بين الفتية، وربما ظل الصمت يجول حولهم، كان

الفرحُ دائمًا موضع الحمد والشكر بما هم فيه الآن من فضلٍ وَنعيمٍ لا يوصف، ولا يقدر بكنوز الدنيا وما فيها.
ما هذه المياه، ما هذه الحياة يا عمرو! أكاد لا أصدق عيني!
كنت أتخيل دائمًا هذا المكان، ولكن لم تأتيني تلك الصورة الجمالية، فسبحانك يا الله قد أكرمتنا وأحسنت مثوانا فلك الشكر والحمد.
كانا لا يجزمانِ ما هُم فيه، إنهما في عالم آخر، إنها دارُ الثوابِ والقرار..
شابان خفيفان الروح والقلب، نور وجههِما يضيء ما حولهما، أحدِهما خفيف اللحية، نقي الوجه، ابتسامته طيبة، قوي البنية، أما عن الثاني فهو كثيف الشعر، كريم الوجه والخلق، يرتدي تيشيرت أبيض كقلبه، إذ أقدم الاثنان على أصدقائهم الذين لحقوا بهم من خلفهم.
تلهفَ الثلاثة اللقاء، وقف الاثنان أمامهم، سلم المقربون على بعضهم. وكأن المستبشرون في انتظارهم.
فقال جابر: تفضلا بالجلوس معنا أيها الأحباب، فجلس الجَمع مبتسمًا.
فبدأ أنس الحديث وتعرف: اسمي أنس، وهذا جابر، وأتبع خالد: وأنا خالد
فرد الاثنان يتبعان: عمرو، والآخر في ابتسامة وهو يُمسك طرف لحيته: وأنا عِماد.
فتحدث خالد يتساءل: لِم تأخرتم؟
فأجاب صاحب اللحية: لم نتأخر كنت أشتاق لِقاءكم والحمد لله

الذي ألحقني بكم.
ففكر جابر مليًا وسأله: هل تعرفُنا؟
فأجاب: أعرفكم جيدًا
وتابع خالد وجابر وأنس: شهداء الثورة والميدان والمُدرج، حتى صاحب التيشيرت الأبيض أعرفه من قبل أن ألحقه هنا، وتمهل للحظة وتابع: فهو مثلك يا أنس.
كان يشجع فريقه المفضل.
فنظر أنس لعمرو في دهشة وسألهُ: ما الذي حدث لك؟
كنت أبحث عن أصحابي مثلك، ثم لحقت بهم وجئت إليك، وانتابه الصمت.
فقال أكمِل.
تابع: لا أستطيع ربما وقتًا آخر.
ثم تحدث الصمت مرةً أخرى على أفواه الجالسين.
فتحدث عماد وقال: لِمَ انقطع حديثنا!
فرد خالد: أكمل أنت يا عماد الدين، كيف جئت! وبما أنك تعرف ما الذي حدث لنا، أخبرنا من أتى بك، الظالم أم القاتل؟
فتهمل بابتسامته وأجاب: الظالم هو القاتل، ولكن الظالم أصبح هو المظلوم، والمُدان صار بريئًا.
من قتلك؟
الذي قتلكُم.
صاحب الزي الميري؟
والوجه الغاضب..

أين أصحابنا الآن؟
لقد انقسَما إلى نصفين.
الأول!
لا مفر سيأتي ويمكث معنا.
والثاني!
مُقيد يدافع عنا..
والثورة!
تائهة
أما عن الوطن!
فهو غريب
والحق!
ضائع
شعر الثلاثة بخيبةِ أمل لما حدث، فقال عمرو وهو يبتسم: وما الذي تبقى؟
فتابع عماد: تبقى الأجر والثواب، والعقاب والجزاء لمن استَحق.

****

** جندي مجند عبد الستار **

في ربيع عمره تحديدًا زهور العشرينيات يكمُن بداخله شعلة نشاط تكاد لا تنطفئ حتى تضيء العالم ، وأحلامٌ صلبة غير قابلة للكسر، وآمال كبيرة في شقةٍ صغيرة تسكن فيها فتاة أحلامه التي يحدث نفسه كل يوم تحديدًا بعد منتصف الليل عنها قائلاً : "ما أسعد قدرها ونصيبها لأنها ستتزوج عبد الستار".
اسمه عبد الستار، عمره واحد وعشرون عامًا، مواليد قرية (البدالة) إحدى القرى التابعة لمدينة المنصورة محافظة الدقهلية، خريج معهد فني صناعي، العمل فني متخصص بالكهرباء وهو القسم الذي لحق به أثناء دراسته.
يسمى يوم الإرجاء، ها هو يقف الآن ينتبه بحذر في مكان التجنيد التابع والقريب من محافظته، يسمع بتركيزٍ شديدٍ مكان الحياة الموازية الجديدة التي تبقى ساعاتٍ قليلة على دخولها وتولي مهنة جديدة تُعَرف أحيانًا باسم "جندي مجند في القوات المسلحة "، وصفها الوظيفي حماية الوطن وسلامة أراضيه من العدو الذي يعرفه منذ نعومة حتى خشونة أظافره.

قد أنصت الشاب جيدًا، سمع اسمه ينُادى هكذا "جندي مجند "عبد الستار متولي عبد المنعم " سلاح .....
وبعد أن انتهت فترة التدريب التي تقدر بعدد من الأيام يقارب

خمسةٌ وأربعون، ذهب المجند إلى إحدى محافظات العدوان الثلاثي تحديدًا (محافظة السويس) ؛ في إحدى مقرات القوات المسلحة ليقضي عمرًا آخرًا موازيًا لعمره يبلغ سنة ونصفها بحسابات كوكب الأرض.

كان يمر على الشاب أوقات حزينة بائسة نتيجة لحياة مؤلمة وشاقة لا تطيقها النفس، بينما من حين لآخر كان ينتابه الفرح بما شعر من فخر وعزة لأنه يحمي تراب الوطن وسلامة أراضيه. يرقص فؤاده فرحًا عندما يتذكر ابتسامات والدته ووالده عند عودته وسلامات جيرانه وأقاربه الممتنة له على خدمة بلاده وكان يخطر بباله دائمًا أقوالهم.

ألا يلتفت لأحد ولا يسمع من العوام فهم أبناء الوطن صفوة المجتمع حماة الشعب والأرض من الأعداء.

كان يتذكر جيدًا، ولكن كان يقتحم مخيلته كثير من الهواجس والظنون تقول له:

حماية الحدود وأمن البلاد الخارجي هي الهدف الأساسي من كوني أعمل كسائق ملاكي لإحدى الرُتب.

إنها مهنة بسيطة فقد تعلم السائق القيادة على عربة الثُمن نقل الذي اشتراها والده ليعمل عليها لنقل بضائع إحدى متاجر الجملة.

وظلت الهواجس تقتحم رأس الفتى وتتصارع معه في تشويش الصورة التي لا يراها؛ حتى

شعر في البداية أن هذا ليس دوره وتلك المهنة اللعينة التي رفض أن يعملها من قبل حين طلب منه والده المساعدة لأنها كانت

تقصد إهانته وخضوع كبريائه ومحو كرامته.
فبدأت تلك الهواجس تعود من حيث أتت فلم يعد صراعها يمثل أدنى اهتمام للجندي، ولم تعد عينيه تنظر إلى تلك التفاهات.
حقًا، فهو الآن لم يعد يشعر بأي إهانةٍ وخضوع فقد حطمت تلك الأشياء اللعينة التي تُحرض ضميره على اللوم، تلك الأشياء التي تأتي متخفية وراء ستار الكرامة والضمير.
فأصبح لا يشعر بأدنى حرج عند فتح الباب لصاحب السيارة عند الدخول والخروج منها وهو رئيسه الأعلى في الجندية.
حتى ابنته الناضجة فتاة المراهقة، يشهد أنها مجتهدة في دروسها ولكنه كان يشعر بالبلبهِ عندما تتحدث بعض اللغات الغربية عنه.
فهي تدرس بإحدى مدارس اللغات الثانوية، وكان عبد الستار يحب أن ينوه بما تضمُره نفسهُ تجاهها ولا يحب الحديث عن سريرته التي انتابها في بعض الأوقات بعض الغرور والثقة بالنفس معًا،
عندما كانت الآنسة "ماهي" تبتسم له حينما يفتح لها باب السيارة عند وصولها صباحًا إلى المدرسة ولكنه كان لا يبالي بنوع الابتسامة، أكانت حبًا أم عطفًا؟ المبالاة هنا تكمُن لفتاة قوامها ممشوق، الوجه ناصع البياض الوجنتان حمرويان، العينان في دفئ دائم، خصلات الشعر مموجة تتطاير بين الأسود والأصفر.
وينتهي المشهد بتخيلات دراماتيكية كوميدية بأن الفتاة لو جاءت قرية " البدالة" لانقلبت القرية رأسًا على عقب، وتكرر مشهد فيلم (محامي خلع) عندما سقطت العباءة، وظهر الحق.
في المساء عند عودة الفتاة للبيت يصبح المشهد أكثر مادية، تتسلل

الواقعية دون اللجوء إلى رومانسيات روحية تافهة لا تُغني ولا تسمن من جوع.

لم يشعر أبدًا بشيءٍ من العطف أو الحرمان بسبب عطاء الآنسة الفضفاض الذي يصل إلى خمسين جنيهًا كنوع من "البقشيش" كما يعرف، ولكن قلبه اقشعر عندما قهقهت "ماهي" بصوتٍ عذب وهي تضع يدها على فمها وترجع مائلة للوراء من هيستيريا الضحك عندما سمعته يقول لها: شكرًا يا أبلة ماهي.

وبعد ظهور الحق، ينجلي الكرم الممزوج بروائح سندوتشات الكفتة والبُفتيك، نعم. أخذ يحدث نفسه كثيرًا أنها لم تذق طعمًا شهيًا مثل هذا من قبل.

هناك فرق كبير بين كفتة الحاجة "فوقية" المكونة من الدهون والأرز بنسبة تسعين بالمائة، ولحم دولت" هانم الخالي من الدهون والزيوت والكرامة التي اتفقنا أنه لم يعد يبالي لها طرفة عين، فكان نوعًا ما من الشفقة لم يتخلله طيلة حياته.

ولكن استياء تلك الحياة بات يطارده في كل مكان، تغلب على ضميره وتغلبت عليهِ ألسنة أصدقائه.

"سواق الهانم"، وصف طالما اشمأزت أذن الفتى من سَماعه المُتكرر من زملائهِ المجندين، استمر الشعور لديه حتى طفح كيله قبل أن تحدث مشاجرة بينه وبين أحد الساخرين، قبل انتهاء خدمته بأسبوعين فقط.

كانت عواقبها وخيمة على نفس الفتى، السجن لمدة يومين كان عقاب الساخر والمسخور منه. بعدما تحول الاثنان إلى صديقين

حميمين لعدة أيام قبل أن تنقطع تلك الصداقة إلى الآن.
وبات الفتى ليلته الأخيرة مسامرًا لأصدقائه مستيقظًا معهم، حتى انتهت حياته الميرية واستمر عبد الستار في مهنته كسائق لعربته الثمن نقل بعد أن تركها له والده قبل أن يرحل عن هذه الدنيا.
صوت فرامل تدوي منه الأذن. تساءل
_ من هؤلاء الناس؟ لمن هذه الكلمات الغريبة والشتائم والسباب؟
كانت له ماذا فعل لكل هذا؟
كاد أن يصطدم الشاب بـطفلةٍ صغيرة تلعب في الشارع لولا لُطف القدر، ولكنه أفضل حال بعد أن اخترق وجدانه فتاة بنصف جمال "ماهي" بنت الباشا طالبة اللغات، يحبها وتحبه وتملأ حياته شغفًا لا عطفًا، وتشاركه في الحب الكرامة الفخر، الفرح والحزن، كم هي خطيبة جميلة اسمُها "ياسمين".
يتلهف عبد الستار مرور العام ونصفه حتى يتمكن من إغلاق بيتٍ على حبه، فاهتز هاتفه فجأة على ما يبدوا أنها تشاركهُ وجدانه من بعيد.
أجاب عليها، يريد أن يطول الحديث بينهما، فهي بمثابة فيلسوفة حياته، تقول له دائمًا: "فقرٌ مادي يملأه غنى روحي، غرفتين بالدور الأرضي يعِفونا من أبراجٍ عالية وناطحات هاوية"، كلمات كانت دائمًا ترددها له ياسمينته فهي مثقفة متفلسفة بعض الشيء، تدرسُ بكلية الآداب قسم الفلسفة، الفرقة الثالثة، جامعة المنصورة

مهاجر إلى برلين
بالفعل كانت ليلة دسمة!
قد فعلها والده وسماه أحمد، قد قرر تسميته حتى من قبل مجيئه من أسماءٍ كثيرة طُرحت عليه ولكنه كان منفردًا برأيه وَفعل ما قد فعل، ولكن لا يهم إنها مجرد ذكريات فضفاضة تجلب مزيد من الانتعاش عند سردها في بيتهم أثناء مشاهدة التلفاز بعد تناول وجبة عشاء دسمة بعض الشيء لا تتكرر كثيراً، حقًا لا تتكرر كثيرًا، فهو الآن يبلغ من العمر الثامنة والعشرين.
ذهب خريج الهندسة إلى غرفته المتواضعة .. لا تتخطى الأربعة أمتار طولاً وعرضها أقل بالربع، الجدران مطلية باللون الأصفر الباهت المتقشر، قد تملك الشاب التعب ها هو ينظر إلى السرير يشتاق لهفته ، بعد أن استاء عمله كمهندس الميكانيكا في إحدى مصانع مركز ميت سلسيل بمحافظة الدقهلية، حيث مسكن رأسه كان المرتبط أعزب منذ ثلاثة أشهر والآن تتخلل حياته فتاة متدينة وربما جميلة ،،فهو لا يعرف فلا يرى غيرها مطلقًا ، بينما يراها يوم الجمعة من كل أسبوع، يذهب إليها بعد آذان العشاء أحيانًا وربما بعد صلاة العصر عندما يحِنُ قلب حماته بتحضير وجبة طعام دسمة من الأرز و طاجن الملوخية أو البامية التي يسبح فيه قطع اللحم.
والآن، آن الأوان بالتقاء رموشِ عين المهندس ويتوقف فيزياء عقلهِ ليبدأ هجرته مع النوم العميق، بدون حتى مسامره كل ليلة مع

خطيبته، حتى أنه غفل فجأة وكان بجواره هاتفه الذي اهتز مرة أو مرتين حتى تيقنت الخطيبة أن فتاها مجهد نامَ كالقتيل.
استيقظت على يوم جديد ولكن سعيد، يوم مختلف، فقد جاءت الفرصة، أحلامي وأحلام عائلتي وخطيبتي المتواضعة قد تتحقق، لقي ساعات على موعد الطائرة المتجهة إلى برلين .. نعم العاصمة الألمانية، لم يصدق الشاب وهو يرى أمه تبتسم له وتعانقه بينما كانت دموعها تنهال رقصًا علي وجهها وتعطيه حقيبته وعقد عمل كمهندس ميكانيكا في شركات يوروبيجز ..بينما كانت خطيبته تودعه بلهفة وتشبث يدها على يده، و استحلفته بالله وبحبها ألا ينظر إلى الفتيات الحسناوات الشقراوات ذوات الشعور الصفراء، وأنها في انتظاره حتى تبدأ إجازته الأولى، لتنتهي فترة الخطوبة ويتزوجوا، والفتى يوعدها بالشيء ذاته مع أول إجازة .. بينما كان الفتى أبله المشاعر في تلك اللحظة تجاهها .. ربما لأنه يتمنطق كثيرًا ولا يحب العاطفة الجياشة
كان المُهاجر يسمع تعليمات الأمان، وفتاة الطيران تجول من حوله، تبتسم، ترحب بالمسافرين .. حيث أنثوية العمل تتبعثر من كاحليها.
أقلعت الطائرة ولأول مرة يسافر المواطن خارج بلاده وشعور الفراق لا ينجلي عن ذاكرته حتى مكث دقيقة لا يشعر بأي شيء و أطبق جفنيه لا يرى سوى ذكريات بيته ودمع أمه حيث وآمال والده المتعلقة علي عنقه وطلبات أخوته عندما يصبح ثريًا وأحلام خطيبته الواقعية في شقة وحياة سعيدة معه عندما يعود.

انتهت دقيقة الذكريات علي صوت أنثوي غريب في نعومته يتحدث لغةً ما يجلس أمامه .. سَهمَ إليها نظرةً ثاقبة، إنها امرأة تكاد في الثلاثينيات من عمرها، نعم عرف أنها ألمانية عائدة إلى بلادها فقد تعرف علي بعض المستويات المتقدمة للغة الألمانية، وبالكاد تذكر مسرعًا كلمات حبيبته وهي تلزمهُ الحذر من فتنة النساء .. وحدث نفسه وشفتاه تبتسم : لا بأس، إنها ليست شقراء فلا مانع للنظر إليها ولا مخالفة للوعد .. فاتفقنا علي الشقراوات فقط!

هبط المسافر من الطائرة وجال في شوارع المدينة يبحث عن اللاشيء ويده اليمنى تسوق عجل حقيبته واليسرى تلف معطفه على عنقه.

كان يحدق النظر لكل من حوله من أُناس ومعمارٍ وطيور وأخذ يحدث سريرته بصوت متعجب مرتفع بعض الشيء: شوارع برلين ما أجملها لا تشبه شوارع ميت سلسيل من بعيد ولا قريب!

ما أروع التراث المعماري، لو جاء صديقي أسامة لعلم أن ما يدرسه من معمار يساوي اللاشيء أمام هذا الشيء ، الحمام الأبيض السابح شيء لا يصدق ولكن يشبه قليلاً الأوز، الأبيض البلدي، السابح في ترعة القرية، أُناس جديدة، من المرأة العجوز القادمة عليّ، إنها تشبه المستشارة أنجيلا ميركيل، هل جاءت بنفسها لاستقبالي! وقال بينما كان عظم حاجبه يتلاعب: ها هن الشقراوات أعذرينيَ يا خطيبتي الخمرية، فبدأ حبك الذي راهنت عليه يهتز بداخلي.

وتذكر سريعًا فيلم (عنتر شايل سيفه ،همام في امستردا) حيث الكوميدي المصرية، وقال بتنهد أخيرًا: عبد السلام في برلين.

اتجه الطامح إلى صرح عمله العظيم الضخم، "يوروبيجز" ها هو بداخله، طوابق خارجية متعددة يتخللها طوابق أخرى راقية الطراز، المكان هادئ إلا من صوت العمل .. شاشات الحاسوب في كل مكان حولي.

تداول المصري الابتسامات بينيه وبين مهندسي وموظفي الشركة يبدوا أنهم مختلفون الجنسية والعرقية.

بينما يرافقه شخص لا يعرف مسئوليته ليوصله إلى المدير الإداري للشركة.

وبعد أن طلب منه المرافق أن ينتظر هنا لمدة تزيد عن عشر دقائق.

استقبله مدير العمل بالترحيب واستلم منه عقد العمل و أخذا يتحدثان في أمور وتقنيات العمل و الميكانيكا واستمر الحديث فقاطعه طرقات الباب، فأذِنَ صاحب المكتب بالدخول.

فخلت بنا فتاة مرموقة العود شقراء اللون، كشروق الشمس في عينها، أقبلت علينا، مدت يدها وسلمت على المدير .. وسلمت عليها بابتسامة ترحيب ، ومكثت أمامي وقد تبعثر منها مرونة نسويةٍ لا مثيل لها. فتغافلتُ عنها، وتابعت حديثي مع المدير. حتى انتهى الحديث بإمضاء رسمي بيدي يوفي بأنني قد استلمت العمل.

وانتهى حديث الفتى مع عمله بابتسامة وسلام حار ونهض الفتى لِتصطحبه الشقراء إلى مكتب العمل الخاص به ، أدخلته غرفةً تضاعف مساحة غرفته القديمة ثلاث أو أربع مرات .. شاشات

حاسوب كثيرة .. مكتب أنيق .. أريكة على الجانب الأيسر .. الجدران مطلية باللون الأبيض الوردي .. وأصبح الفتى وحيدًا بعد أن أذن للفتاة بالذهاب ، فاتكأ على كرسي المكتب ليدور عدة مرات حول نفسه التي إلى الآن لم يصدقها .. حتى توقف عن هذا العبث عندما رأى الفتاة تقدُمُ عليه مرةً أخرى .. تحمل كَفتيها بعض الكعك وَكأس من العصير الذي لم يتعرف عليه ، وقالت له بلباقة : تفضل هذا ترحيب خاص مني لك

فابتسم لها الضيف الجديد وشاور لها وهو يتمتم أن تجلس، فجلست.

صمت الفتى وصار يأكل الكعك حتى جال في خاطره أن يثرثر معها. فبدأ يسألها: ما اسمك؟ ما عمرك؟ ما جنسيتك؟

ما هو تخصصك وعملك بالتحديد هنا؟

وبدأت الفتاة تجاوب بتفوه أنثوي بينما كانت تتحسس خصلات شعرها للوراء وهي تتحدث بينما كان الشاب تلتمع عينيه من شدة أنوثة المرأة حتى أنه نسي وعود فتاة أحلامه .. حتى تبعثر الحديث إلى حياتها الشخصية .. وتطرق السائل إلى هل أنت مرتبط

فقالت وكأنها تبدي الإعجاب به: لا ... وتابعت وأنت؟

وتابع لكن قاطعه صوت هاتف المكتب والغريب أن لحنه يشبه لحن هاتفهِ القديم

مدَّ يده لا يعرف من المتصل فرأى إسم خطيبته الجميلة المتواضعة، فرد باستياء وكأن النعاس يغلب على صوته فسمعها تقول بعصبية وبصوتٍ خشن:

كل ده نوم هو علشان النهاردة الجمعة تنام للظهر، يلا اصحي صلي وإحنا عازمينك علي الغدا، حماتك بتحبك وعملتلك ملوخية ، فاستيقظ العائد بسرعة من حلمٍ الهجرة إلى برلين وذهب لصلاة الجمعة في المسجد الكبير لمركز ميت سلسيل ثم إلى منزل خطيبته الصغير لتناول الملوخية أملاً أن يسبح فيها قطع اللحم.

"نضال فلسطينية"

كانت ابتسامتها تملأ وجهها، توحي بارتياح شديد، وملامح ينجلي بداخلها براءة، تدهش عائلة أبويها وكثيرًا ما تعجبهم.
كانت الصغيرة تملك عشر سنوات، طفلة تبوح بكلماتٍ فضفاضة عشوائية دون أدنى تكلفٍ أو حرج، ولا مراجعة إملائية أو نحوية، تلاعب يديها بدميتها يعبر عن ما يضمُر بداخلها من طفولة براقة متفائلة لا تدرك الواقع البائس في مظهره ولا ترى المستقبل الفارغ من طموحاته دائما كانت تستشعر في عين أمها حزنًا عميقًا لشيء مجهول.
لا تعرف ما سبب الحزن،؟ خوف دائم يسبح في بيتهم.
اسمُها "نضال"
اليوم .. هي فرِحة، يوم الذكرى العاشرة لميلادِها قد جاءت، وجاء معها في منتصف اليوم بين نهار عصره وغروب ما قبل مغربه بدقائق قِلة، جاء الخبر ينبأ الجميع .. أن والد نضال قد صعدت روحه إلى خالقها، إذ الرواية كانت تسرد لهم أن أباها استقبل في صدره بصدر رحب سبعة رصاصات من بندقيتين سوداويتين كقلب جنديين من جنود الاحتلال، عندما وقع أسيرًا تحت أيديهم ضمن إحدى اشتباكات انتفاضة الشعب الفلسطيني، بما يعرف عند العالم بالانتفاضة الأولى.
تكتب المرأة بقلمها عن الفتاة .. تشهد على ما حدث لها، توثق ما

مرّ بها،
كانت الصغيرة تسمع صوت بكاء عماتها وأعمامها يدوي أرجاء المكان، أمها تميل برأسها وتضع يدها على جوف القتيل مكان الرصاص، وجبينها يلامس جبينهـ ودموعها أمطار تتساقط غزيرة صامتة تغسل بها وجه أبيض يبتسم كأنه يرى ملكوت آخر يعجبه ويشتاق إليه.
نظرت لها امرأة عجوز عندما اختلت حركة الباب، إذ أنها تقف وراءه، كتفها الأيسر يتكئ عليه وعينها تراقب المشهد من بعيد دون رد فعل لما يحدث. واحتار أمر اليتيمة فلا تعرف تفرح كما قال البعض إن أباها في جنات عرضها السموات والأرض ، أم تجيش في بكائها تعيش أوقات الحسرة و صدمات الفراق ودموع الضعف يجب أن تحلُ محلها على وجهها تتساقط بين قبضات أجفانها.
مرت على الصغيرة سنوات وسنوات ،مرور القوة والكبرياء وأحيانًا الضعف والهوان، تغيرت الأشياء من حولها انتقلت من بيت لبيت ومن حياة لحياة أخرى سعيدة. تتمنى أن تعود إليها، وإن لم تعد فتتمنى الموت قبل أن تكتب كلمات تحمل مأساة بعدد لا يماثله حروف اللغات والكلمات.
أصبحت الصغيرة امرأة ناضجة، و زوجة صالحة تملك في ذاكرتها ثلاثة وعشرون عاماً يسكن فؤادها زوجها، كان اسمه "يحيى، وياسين " ابنهُما رضيع على يديها مائلا على كتفيها يحمل بضعة شهور من العمر، يبكي من لهيب أصفر تسقط حرارته عمودياً على أرض خضراء ترابها أصفر يمشي عليها أُناس مصطفين صامتين

يحملون في مقدمتهم نعشِ الحرية يهتفون فداءً للأقصى تعيش فلسطين ويموت من هو دونِها ولا شيء فوق الوطن ولا فلسطين دون غيرها.

وقفت عين المرأة صامتة تراقب زفاف الشهيد الثاني، كيوم زفاف الأول ولكن يومها ليس ذاك اليوم. فالآن الأمر يدركها والموت يؤلمها ودموع ياسين ترافقها وتراب الوطن يحدثها أن القصة قصيرة لا تحتمل وصلاة الأقصى تدعوها لِتدعو رب الأقصى وتشتكي فراق حبيبها زوجها.

لم يكتمل عامهُما الثاني معًا، قلبها مشاعره تنتفض، انتفاضة ثانية للأرض وفلسطين كما هي تتألم، تقول لا أملك شيئاً لكم ، بل أنتم قدَمتوا أرواحكم من أجلي، لم اختار أباك يا طفلتي، وأنا مثلك أيتها المرأة لا أرضى الفراق بينكِ وبين زوجك، حبيبك ووالد ياسين.

توقفت ذاكرتها .. يبدوا أن قلمِها لم يعد يستطع الكتابة، ربما تؤلمه الكلمات وتقشعر له الأوراق ، عقلها يعيد الذكريات وكأنها حاضر بِلا مستقبل، أقبضتْ جفنيها رافضة ألا ترى شيء، ساد الضباب حولها وظل حتى بدأت قدميها بالسير والدوران حول نفسها في غرفة صغيرة لها بابان، بابٌ حديدُ يسطره عموديًا قضبان أسود، وآخر خشبي وراءه مرحاضٌ عفن لا تسمع سوى صوت يهمس من بعيد لا تدري ما هوَ. ربما نفس ساجدة تناجي ربها، توقفت مرة أخرى عندما بدأت يدها تصاحب قضبان أسود تلتف أصابعها أفقيًا على رأسه، تَتشبك به جيداً حتى انزعج قلمها فسقط .

ولكن بلا مفر عاودت لتكمل أوراقها وضعت قلمها في يسارها،

استجمعت ذكرياتها، ساندت آلامها، تسابقت أنفاسها للحظات ثم استقرت بيني وبين فراقك يا حبيب خمسة عشر عاماً ثلثهم الأخير عاشته هنا، وأكملت هنا في وحدتي إلى الآن، أرى صورتك كل يوم تكبر وتترعرع كوردة تتفتح لتضيء حياتي ألَا سمعت يا يحيى عن انتفاضة السكاكين، دعني أخبرك عنها، كعادتنا نقاوم بكل السبل بالحجارة تارة وأخرى بالعمليات الفدائية والآن جاء دور الأسلحة المنزلية .

كل يوم في اعتداءٍ على أقصانا وكل يوم نقدم شهداء، وذات يوم شمسه أضاءت متفائلة تسقط على أعين شاب يرفع رأسه ملامحه يرتاح لها الوجدان .. شعره مجعد يميل لونه إلى الأصفر أكثر منه الأسود .. عيناه سوداوان واسعتان، فصيح الكلام، بريء الضمير شجاع العقل والقلب .. صغير السن.

كان قد انتهى من صلاته في مسجده متوجهاً إلى داره ينحني قليلاً يربط حذائه استعداداً للمغادرة ويقسم أن يعود بلا رجعة وجهه يتجعد الحماسة والثأر قبل أن يحول بينه وبين الغضب دقائق .. رأى فيها امرأة كأمه تصرخ بين بندقيات أربعة جنود وسكين مستوطن يلتفون حولها .. يحاصرونها، يتلمسون جسدها، يسخرون من شجاعتها، يستقون أمام ضعفها.

ذهب ليشدد أزرها ويمسك بيدها ويقويها بقوته، فابتعدت قليلا حتى أخذ هو مكانها في حصارها، وأخذت هي مكانه في غضبه، والمعتدون كعادتهم يحاصرون ويلمسون و يستقون، حتى بدأ أحدهم بركله بقدمه دون توقف حتى أمسك بقدمه فوقَع أمامه

فانهال الشاب عليه بطعناتٍ قوية حتى إمتزجت دمَاء المحتل بِأدرينالين الشاب.
فانطلقت من ورائه ٦ طلقات من ثلاث بندقيات تقاسمت لعنة استشهاده فطرح أرض قتيلاً يخرج أنفاسه الأخيرة .. فاقتحم جسده ثلاث طعنات .. اثنان في قلبه والأخرى تقارب رقبته بيد مستوطنٌ غارق في دماء وطن يقسم ألا يتركه، ومات الفتى.
وتابعت الأسِيرة
أعرف أن كلماتي تحزِنك، ولكن لمن أكتب له غيرك، أنت صديقي وحبيبي وزوجي، تتذكر يوم عُرسنا عندما لامست يداكَ يدي والتفت أصابعك ترافق أصابعي ولمعت عيناكَ عندما رأت حُبها ينعكس في عيني واستغرق صمتك دقيقة كاملة قبل أن تهمس بصوت فضفاض مرتبك تعترف بحبك لي دون حرج وتعاهدني بالبقاء بجانبِي طيلة حياتك وعندما تموت قبلي، ستقوم بحجز مكان لي في جنة الله.
وتابعت!
أعرف أنك الآن تنتظرني كما همست لي ولكن أخبرتني أنك ستكون وحدك على عكس حالك الآن، فأنت لستُ وحدك.
نعم لستُ وحدك !
توقف قلمِها مرة أخرى واكتفت أوراقها.
يداها أصبحت ترتعش غير قادرة على حمل أي، شيء ولا حتى تستطيع التحدث ولكن كانت تود الاقتراب منه وفي همس تقول له أنها تنتظره كما ينتظرها ومعه الفتى صاحب الرصاصات والطعنات

فالفتی اسمه "یاسین"

**الراهبة والشافعي**

كانت تقف يتلهف جسدها العجلة تنتظر وتبتسم لمن ينظر إليها برفق وسماحة لينة حتى أنه لم يمُر طفل إلا وداعبته من بعيد بملامح وجهها الطفولية، وما مر عليها أحد إلا تحدق في وجهها وابتسم لها وقد ازداد شرف اللقاء لمن ردت إليه التحي، إلا رجل كان يتفحص وجهها بعبوثٍ وجهه الجذاب الأنيق، كان في الثلاثين من عمره .. طويل القامة، مستقيم الأنف، تجاعيد شعره ملساء سوداء على عكس لون وجهه الأبيض يرتدي بنطالاً أسود وقميصًا كلاسيكي ..

احتار أمر المرأة من عبث المتحدِق حتى لاحظت أنه يقترب منها ففزعت نبضات قلبها خوفًا حتى جاء عربة الأجرة التي تنتظرها لتُنقذها من هذا الأبله حتى إن ركبت فأسرع يقدم إليها فجذبت الباب فأمسكه بيسراه ونظر إليها فتجمدت تعبيرات وجهها فأعطى لها ورقة وأغلق الباب وابتعد .. هدأت الفتاة حتى أنها لم تهتم بما تحتويه كلماته فهي عندما تقف مع العامة تتلقى رسائل كُثر لا حصر لها ، بينما وهي في سبيلها بدأت في قراءة الرسائل التي تركها لها الرجال والنساء ، فتركت رسالة الأخير وحدها وشغف بالها أن تكون هي الرسالة الأولى في تعداد القراءات .. تبلمت تجاعيد وجه المرأة عندما تحركت شفتاها في صمت تقرأ " لماذا تنعزلِي عن الحياة في لباس أسود .. أيأمُركِ الدين بذلك .. هل بحث عقلك من قبل

ليكتشف أن المسيحية الدين الصحيح .. ربما يكون الخاطئ "
بدأت القارئة تتجاهل الكلمات باستياء، وهي أول كلمات تأتيها من شخص أبله يتجول في شوارع نابولي، توقف السائق وصلت إلى المكان المرغوب .. دخلت بهدوء فاستقبلها الأساتذة والمعلمين بحرارة من الشغف والترحيب .. كان يغشى على جسدها ثياب أسودًا فضفاضًا ومن فوقه حجاب أبيض يحُدُ جبتيها من المنتصف وبدأت تتجول لتتحدث مع التلاميذ الصغار وتعلمهُم بعض الأمور و تجاوب على أسئلة التائهين ..
حتى اجتمعت ببعض التلاميذ في قاعات المبنى تشرح لهم وتفقههُم وتدعو لهم بالمستقبل والمغفرة
مكثت مع الأطفال يغنون بعض الأناشيد حتى انتهى المشهد فقدمت لهم العصائر والحلوى وقد تساءلت
وقالت:

- ما هي أحلامكم؟ إن الله يسمعكُم الآن.
- فرد صغير يلعب: وأين الله؟
- فأجابت في السماء.
- فتابع وهو يتمتم: ولماذا لا ينزل ليمكُث معنا هنا يا أمُنا "جيرسيا"
- فقالت إننا عباده المؤمنين وفي يوم من الأيام سوف ينادينا الرب فنذهَب إليه فإما الثواب أو العقاب يا صغيري.
- وكيف ننال الثواب وندخل النعيم؟
- أن نتبع التعاليم في انجيلنا ولا نخطئ وإن حدث فإن الله

رحيم يحب الرحمة.
فرد عليها تلميذ كان يسمعُها جيدًا وقال وهو يرتجل
- يا أمُنا "جيرسيا " أنا لا أريد العقاب وأتمنى أن يدخل الجميع النعيم وأن يتبع الجميع تعاليم الإنجيل
- فرد الولد الآخر يتساءل: وهل الجميع يتبع الإنجيل.
- فأجابت وقد تذكرت للتو الواقف في ساحات نابولي و تمهلت وقالت: لا يا ولدي يوجد تعاليم كثيرة يتبعها الجميع وديانات أخرى مثل الإسلام واليهودية
- فتابع الولد الآخر بعد أن فكر مليًا: أريد أن أتبع التعاليم الأفضل حتى أدخل أفضل نعيم يا أمُنا "جيرسيا"
- فأكملت برفق: اتبع إنجيل يوحنا وستفوز بنعيم الدنيا ومغفرة الآخرة.

رجعت القديسة إلى كهنوتهَا إحدى الكنائس في المدينة بينما تعمقها التفكير في ذلك الرجل حتى طردته من بالها بعد أن فتحت الإنجيل وبدأت تقرأ وتراجع الإصحاحات حتى يقتحم خاطرها مرةً أخرى فتنهض فتُصلي للرب وتدعو بالهداية وراحة الفؤاد .. حتى أنها لم تنم جيدًا ولم تؤدي الطقوس الدينية بشكلٍ جيد ، حتى أنها فكرت أن تذهب في صباح اليوم إلى ذات الحي ولكن هي تبحث عن شيءٍ مفقود فكانت المرة الأولى التي تراه فيها ولكنها أيضًا المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى المكان
ولكن إن ذهبت وَوجدته ينتظرها .. فماذا تقول له؟

في الصباح .. أخذت المرأة تجول في شوارع المدينة وتبادلت ابتسامات المارة لها وتكرر إعطاء الرسائل الخاصة لها حتى وصلت للمكان المرغوب وإذ فجأة أتت إليها طفلة في العاشرة من عمرها تقدمُ لها وردة بيضاء فانحنت لها الراهبة وقبلتها فطلبت منها أن تعطيها للرب فضحكت المرأة وقالت لها

- صغيرتي سأدعو لكِ .. لا تقلقي

بينما كان الرجل المرغوب قد رأته عند كانت تُقيم انحنائها وكأنه يعرف أنها قادمة اليوم لتراه .. ولكنها أبت أن توضح ذلك الأمر .. فانتظرت بضعة دقائق وكانت لا تبالي ثم نظرت إليه وكأنها تتذكر البارحة وذهبت لتحدثه

فوقفت أمامه تبتسم فقال لها

- مرحبًا بكِ أيها الراهبة
- فأجابت متسرعة: مرحبًا بكَ أيها المسلم
- فاندهش متسائلاً: وكيف لكِ المعرفة؟
- فقالت وهي تسَتاءه: لقد أخبرني الرب
- فتابع وكيف تواصلتي مع الرب أيتها الكاثوليكية؟
- فتابعت وهي تتنهد : أنا أمزح أدركت ذلك من رسالتك التي تركتها لي البارحة
- فتساءل : ولكنك بالتأكيد أدركت أشياءً أخرى لا تريدي إخباري بها
- ماذا تريد أيها المسلم؟

- فأجاب وهو يبتسم لها: أريد المعرفة والإدراك ربما تكونين أعلم مني
- أعلم منكَ في أي شيء
- في الدين .. أريد أن أعرف ما هو الدين.

فتنهد بصمت وقد انجلى استياءها فقال لها الرجل:

- صدقيني .. لا أريد منك الإسلام ولا أريد الترهبن مثلكِ .. أريد أن أتناقش معكِ عن الدين وأكمل: الدين الصحيح

ثم تركته وغادرت بعد أن اتفقا أنهُما سيلتقيان في موعدٍ ما

وقد أتى الموعد وذهبت الفتاة إلى المُلتقى وقد ارتدت ثيابًا أخرى غير ثياب الراهبة وبدأت تلتفت وراءها تخاف أن يتعرف عليها أحد ويقال إن الراهبة في موعدٍ غرامي مع أحدهم فهي منذ أكثر من سبعِ سنوات لم يحدث لها أنها قابلت رجلاً في مكان عام وهي الآن في السابعة والعشرين من عمرها، عمر الزواج والحياة والتي أبت ذلك من أجل العبادة والصلاة من أجل دخول الجنة والنعيم ..

جلست أمامه تتفحصه جيدًا ثم قالت:

- ما اسمُك؟
- اسمي الشافعي
- فابتسمت
- . وتابع: أعمل هنا منذ بضعة أعوام في إحدى المدارس الإسلامية .. حيث أدرس العلوم الدينية للتلاميذ من حيث الإسلام

وتعاليمه ..
فهزت رأسها بهدوء فقال وهو يتفحص أذن المارة ويتأكد أن لا أحد يستطيع سماعه
- أنت المعلمة والأم "جيرسيا" راهبة إحدى أكبر الكنائس في نابولي ، لقد عرفت هذا من إحدى الأطفال الذين أعطوا لكل الورود البارحة.
- أهلا بك يا شافعي، قلت من قبل أنك تريد معرفة الدين الصحيح ..
- نعم!
- فَأكملت وكأنها ارتدت جلبابًا أسود مرةً أخرى وقالت:
الدين الصحيح بابني هو الدين السماوي المنزل من الله بغير تأويل ولا تحريف
- ولكن بعض المسيحيين من القساوسة والرهبان يجزمون أن المسيحية هي الدين الأصح تبعًا للإنجيل وعلى الغرار يشهد علماء المسلمين تبعًا للقرآن أن الإسلام هو آخر الديانات وأن التوراة والعهد الجديد ألا وهو الإنجيل قد حُرف.
- اسمعني جيدًا: أنا أفهمك منذ اللحظة الأولى إن كنت تحاول إقناعي فلا سبيل لك، اذهب وناقش من يقول أن الإسلام دينٌ خاطئ، أما الراهبة والأم " جيرسيا " قد وهبت حياتها لتعليم الأخلاق الحميدة لدى الناشئة وزرع السماحة والرحمة والسلام بين كلِ قلوب العالم.
فرد عليها لا يبالي ما قالته قائلاً

- موسى وعيسى ومُحمد أنبياء ورسل لا نعبدهم ولا ترتفع ولا تنخفض تلك المكانة عندنا.
- أما عن عيسى. فما يُمثل لكم!
- قلت لك لن أُجادلك.
- لماذا تُألهون عيسى .. أقَال لكم اتخذوني من دون الله إلهًا؟
- لا أبالي بما تقول
- هل قرأت القرآن من قبل ؟
- إن لم تصمُت .. سوف أترك لك المكان
- لماذا النساء المسلمات لا يمكُثن في المساجد طيلة حياتهم ج، يعشن حياتهن ، يعملون و يُعلِمون ويتزوجون وينجبون .. مع ذلك يعتقدون دخولهم الجنة.
- أنت بالفعل أبله .. قلت أنك أبله عندما رأيتك للمرةِ الأولى ثم نهضت واستدارت في عجلة حتى أوقفها يد ملساء صغيرة أمسكت يديها من الخلف ، فالتفت لتنهَرهُ فوجدت طفلٌ صغير الحجم والعُمر يقدم لها وردةً .فارتعشت خوفًا من أن يكون تعرف عليها

وقال لها وهو يبتسم دراميًا

- أنت فتاة جميلة .. أتقبلين الزواج مني؟
- فبادلته التبسم وانحنى عنقها قليلاً وأجابت: نعم أوافق.

وراحت الفتاة تلقي النظرة الأخيرة على الشافعي وهو يصُر على ابتسامته لها حتى التفت مرة أخرى تاركة المكان تبحث عن السبيل.

**النرجسي**

كانت يمناه تتحسس شعره القصير الخشن وهو يقول لصديقيهِ بابتسامة الرجل الواثق .

-أتعرفانِ ماذا فعلت، لقد أنقذت حياتها، كانت فتاة جميلة الوجه، خصلات شعرها يليق تموجِها على رقة شفتيها عندما تفوهت لي وقالت
-أشكرك بشدة، لقد أنقذت حياتي.
وقتها نظر الشاب إليها بثقب عينه وكأنه يتهمشُها بل لا يبالي هذا العالم الشرير بالمرة وأخذ ينظر إلى المارة بتبلد ثم صوب رُمح عينه إلى السائق اللعين .. كان وجهه شاحب الاصفرار، أراد الشاب أن يلقنَه درسًا لن ينساه على ما كاد أن يتسبب ولكن كانت أولوياته الاطمئنان على الفتاة والتحدث معها ، ربما كان يريد سماع مزيدًا من الشكر والجزل.
واستغرقت نظرات القوة بضع ثوانٍ وقال
-هل أنت بخير
-نعم .. أنا بخير
لم يكمل قصته بسبب صراخ صديقه في وجهه عندما كان يضرب يده على رأسه ويقول
-لقد سردت لنا تلك القصة اللعينة فوق المائة مرة لقد حفظتها

وأدركت عشق الفتاة ذات الخصلات لك وشعرت بخوف السائق اللعين منك وتجنبت قوتك اللامنتهية ورأيت كم أنت بطل خارق يملك قلبينِ أحدهُما شجاع والآخر طيب متسامح وأتبع وهو يهدأ رويدًا، ألم نكتفي وتروي لنا مشهدًا آخر من بطولات السينما الخارقة التي تحدث لك كل يوم في مغامرات الحياة التي تتحداك كل لحظة.

فصمت المستمع مذبهلاً بينما كانت صوت قهقهة الثالث تغشى على المكان ..

وهو بقول لهُما.

-اهدأ .. فربما اغتالته ذاكرته بِأنه روى لنا القصة من قبل عشرات المرات ، ولكن لا مانع أن يسرد لنا " مصطفى "رواية الأطفال الأربعة الذي تشاجر معهم وهو في سن الرابعة عشر في مدرسته الإعدادية، ربما أحب أن أسمع كيف له أن ضربهم الأربعة في ثلاث دقائق بينما كان أحدهم طويل القامة سمين البدن .. أود أن أعرف كيف طرحه أرضًا وأبرحهُ ضربًا.

انجلت علامات الضيق على وجه المستمع بينما هدأ الصاخب وتحول إلى ماكينة من الضحك لا تتوقف بينما صمت المُتحدث و شفتيه يندثر منها الضحكات الخبيثة..

أخذ الساخرانِ يلومانِ أنفسهم على إحراج صديقهما بتلك الصورة الحمقاء وبدأ يسلِيان صمته ببعض الكلمات والضحكات حتى يبدأ حديثه معهما مجددًا، لكنه استمر في ضيق صمته عدة دقائق ثم نظر في ساعته الذهبية التي طالما حدثهم عن نوعِها وسمو ثمنها

وقال
-الساعة: الرابعة والنص، يجب أن أذهب إلى البيت لأستريح ساعتين.
-فرد الساخر الأول: نحن سنغادر أيضًا، نراك في المساء.
-فأجاب: لا، في المساء سوف أذهب إلى خطيبتي.
-فنهض الساخر الثاني من مكانه وقال: حسنًا نراك غدًا ولكن قبل أن تذهب نريد منك أن تسرد لنا قصة حبك مع خطيبتك وأتبع مقهقهًا .. فلم أسمعها منك اليوم.
-فضحك وَوكزه في كتفه: سأسردها لك غدًا أيها اللعين
ذهب الشاب إلى بيته فكان يقرُب مكان الضحك والحكايات، وصل مسرعًا حتى أنه لم يبالي بنظرات الناس له من حوله فهو سريع الخطوة ولا يلتفت كثيرًا لأحد ، يضمر مخيلته أنه طبيب في مجتمعٍ مريض يأبى أن يتعافى.
وصل البيت سلم على أمه وطلب منها تجهيز الطعام حتى يأكل ويخلد إلى النوم إلى أن يحين ميعاد خطيبته..
فوافت له الأم طلبه/ فصلى الجائع العصر ثم أكل واتجه إلى السرير يستنجد به التعب الذي حل بجسده، لم يستغرق عقل الفتى سوى دقائق حتى توقف وتعمق في نومه بعد وجبة دسمة ثقيلة
حتى استيقظ على صوت منبه الهاتف وآذان العشاء ينادي على الناس وهو من بينهم؟ نهض مسرعًا وقد راق مزاجه في تحضير نفسِه للخروج فكان يتمتم بالغناء الرومانسي الدال على الشوق للحبيب .. وقبل المغادرة داعب صغيرة البيت وأعطى لها بعض

النصائح وودع أمه إلى أن يأتي مجددًا بعد أن طلبت منه أن يشرب معها الشاي قبل أن يذهب ولكنه أبى مبرهنًا بالعجلة في أمره ..
اتجه الفتى على قدمه إلى بيت خطيبته فهو في إحدى الميادين المجاورة .. كان الحبيب يملك سيارة صغيرة ولكنه أودعها عند الميكانيكي لتطوير بعض الأشياء بها.
كان يخطو بسرعة كبيرة ومستقيمة حتى أنه كان يخترق الناس في زحامهم وعندما يرى عيون الناس تنظر إليه من بعيد يلتفت مسرعًا يتجاهل نظراتهم التي يظن أنها يتخللها التعجب والانبهار
كان متلفهًا لرؤية حبيبته ، فاتصل بها وأخبرها أنه في طريقه إليها فعرف أنها تنتظره واعتقد أنها تتلهف انتظاره ..
ثم بدأ يقتحم أذنيه صوتًا ذبابًا حتى انسد عقله عن إدراك ما حوله فوجد الطريق يصخُب تجمع بشري وكأنه اعتصام وعلى اليمين واليسار تتعدد ألوان بالونات الهيليوم الضخمة، إنه افتتاح أحد مطاعم الكبدة في شوارع بلدته ، اكتفى الجائع الرؤية من بعيد وحذر قدميه من عدم الاقتراب أكثر وقرر أن يسلُك طريقًا آخر أكثر هدوءً،واغتالته فكرة العشاء عند خطيبته وتذكر للتو أنه لم يشتري شيئًا لها أو لحماته فشعر بالحرج من الأولى والخوف من الثانية وسَرح مليًا يفكر في أي شيء يشتريه، فجال على خاطره شيئين الورد والحلوى
فقرر شراء الاثنين فوجد محل الحلوى أمامه يناديه فذهب إليه وطلب من البائع جلب علبتين له بعد أن دفع حقهم، بينما كان يعبث ببنطاله طفلاً صغيرًا مع أمِه فلم يهتم به الفتى إلا أن ازداد

الطفل في فعلته فبدأ الشاب يوجه له نظرات لعب وبدأ تجاعيد وجهه تتغير ليداعب الطفل حتى نادته أمه لكي يرحل معها قبل أن ينهي مهمته ويرحل هو الآخر، ثم توجه الرومانسي لبائع الورد في الشارع المقابل لجلب بعض الورد، بينما كان يعبر الطريق لا يبالي سرعة واندفاع السيارات وكأنه رجل خارق لا يهتم بأشباه الأمور كهذه ،حتى وصل تبائع وقال له: - السلام عليكم

-الفرد عليه وكأنه يهتم به: وعليكم السلام

- أود بوكيه من الورد الأبيض والأحمر

-سأجلب لك أفضل الورد.

-من فضلك أسرع .. لأنني تأخرت كثيرًا على خطيبتي.

فأسرع البائع في تحضير طلب المشتري ، بينما تلاعبت غمازات وتعالت ضحكات ثلاث فتيات يقفن بجانبه ، على ما يبدوا أنهن سمعن كلمات الفتى للرجل .. فنظر إليهن وهن كان يتحدقانَه فجمد ملامحه والتفت مسرعًا يستنكر وجودَهن من الأساس .. فبدأ صوتهُن ينخفض حتى عاود النظر إلى واحدة منهم فلاحظ أن جمالها فائق الخيال.

فنادى عليه الرجل.

-اتفضل، أجمل وأفضل ورد

-شكرًا لك.

وأعطى له حقه من المال وودع المكان متعجلاً يكمل طريقه.

ضغط الفتى على جرس بابها، فلم يمضي لحظات إلا واستجاب أحدهم، وقال

-أهلاً يا مصطفى لماذا تأخرت؟ يمنى ملَّت انتظارك أكثر من ساعة.
-أسف على التأخير، الشوارع تُكسى بالازدحام والسيارة ليست معي.
ثم دخل الفتى إلى صالون البيت وتركته المرأة وقدُمت عليه الفتاة تبتسم له ويداها تمتدُ للسلام قائلة:
-أهلاً يا مصطفى ، أنتظرتك كثيرًا
-فملئت وجنتيه بالحب وأعطى لها الورد وقال:
-الورد هو سبب التأخير يا صاحبة الورد.
-أنت أجمل مني ومن الورد.
فاقتحمت الجمال المرأة وقدمت له صينية بها كوبين من العصير ثم تركتهم مرةً أخرى لِيكملوا كلمات وحي الورد، وجلس الحبيبان بجوار بعضهما البعض
-فقالت يمنى وهي تقدم له بيدها العصير: كيف حالك؟
-بخير، الحمد لله
-ومن أين جئت بالورد؟
-من ذات المكان الذي جلبت منه منذ ثلاثة أسابيع مضت.
-فضحكت وتمازحَت: قائلة: وهل ضايقَك ذات الفتيات مثل ما حدث الشراء الماضي.
-فأجاب وهو يستعد للسردِ الطويل، لا بل ضايقني أخريات غيرهِن ولكن أشدُ جمالاً.. هذه المرة كنت أقف وقلت للبائع .....
فقاطعته وقد بدا عليها الملل
-اشرب العصير أولاً .. لأن المرة الماضية مكثت تروي لي قرابة النصف ساعة عن الفتيات الأقل جمالاً، وضحكت وتابعت: ما بالك

بـالأجملِ منهن
-فقال لها وهو يستشعر الحرج بعد أن ذاق العصير الزائد سكرِه:
لا لم يحدث شيئا يُحكى مثل المرة الماضية .. هُم فقط تغمزن عندما سمعتني أحدهُن وأنا أقول للبائع أن يسرع لأني تأخرت على فتاتي الجميلة.
-فتابعت وهي تستحلف الله : قلت لك أنك الأجمل وتساءلت:
هل السيارة مازالت عند الميكانيكي؟
-نعم، قال لي أنه سينتهي من تطويرها يوم الجمعة القادم ..
ثم صمت قليلاً بينما هي كانت تترقب أمها وهي آتية من بعيد تحمل طبق فاكهة كبير ووضعته أمامهِما وجلست هي الأخرى وتساءلت
-كيف حالك يا مصطفي؟
-بخير الحمد لله ..

-وكيفَ حال الوالد والوالدة وصغيرتنا؟
-جميعهم بخير .. ويرسلون السلام لكم إلا أن يلتقوا بكم قريبًا باذن الله.
-اللقاء عن قريب باذن الله .
ثم عاد الصمت مرةً أخرى ... فقال الشاب وهو يلوح بيده رغبةً في الإستياء
-الشوارع مكدسة بالسيارات وصاخبة بضوضاء المحلات و ....
-فقاطعته الأم قائلة وهي تبتسم: هل أنقذت حياة أحد اليوم؟
-فقال لها وهو يضحك: لا لم أنقذ أحد، وإن حدث أمامي هذا الشيء مرة أخرى لن أفعله وتبلد وجهه وتابع: ولن أحكي لكم شيئًا بعد اليوم ..
-فضحكت الأم وتابعت الابنة تُصلح ما أفسده المزاح قائلة: لن تحكي لأحد بعد اليوم إلا أنا، فاسرد لي ما شئت ولا تهتم بأحد، وقامت بتقطيع تفاحة له ..
وبدأت الطقس الدافئ الدرامي يعود من جديد، وانتهى اليوم بروايات وقصص قد سردها الفتى لفتاته بعيدًا عن تكهنات أمها العجوز التي تضايقه دائمًا.
وجاء مساء اليوم التالي ، وكان يمكث الثرثار مع صديقيه كعادته.
وبدأ يسرد لهم ما حدث من فتيات الورد البارحة.
****

لم تنته الحكايه بعد ,
شكر خاص لكل من ساعدني من أصدقائي وأحبابي على لإتمام العمل
.

فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

## تواصل معنا :

01067000701
E-mail :- Fasla. Pub@Gmail. com
Facebook. Com/Fasla. Pub